

محمد بن فارس الجميل

بيوت النبي ﷺ وحُجراتها

وصفة معيشته فيها

«بيت عائشة أُنموذجًا»



Abstract

بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها

وصفة مميشته فيها

«بيت عائشة أُنموذجاً»



محمد بن فارس الجميل

بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها

وصفة معيشته فيها

«بيت عائشة أُنموذجاً»

الكتاب: بيوت النبي ﷺ وحُجراتها
وصفة معيشته فيها.. «بيت عائشة أنموذجاً»
المؤلف: محمد بن فارس الجميل

جداول

للنشر والترجمة والتوزيع
رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

الطبعة الأولى

أيلول/سبتمبر 2016
ISBN 978-614-418-325-0

جميع الحقوق محفوظة © جداول للنشر والترجمة والتوزيع

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

طبع في لبنان

Copyright © Jadawel S.A.R.L.

Caracas Str. - Al-Barakah Bldg.

P.O.Box: 5558-13 Shouran

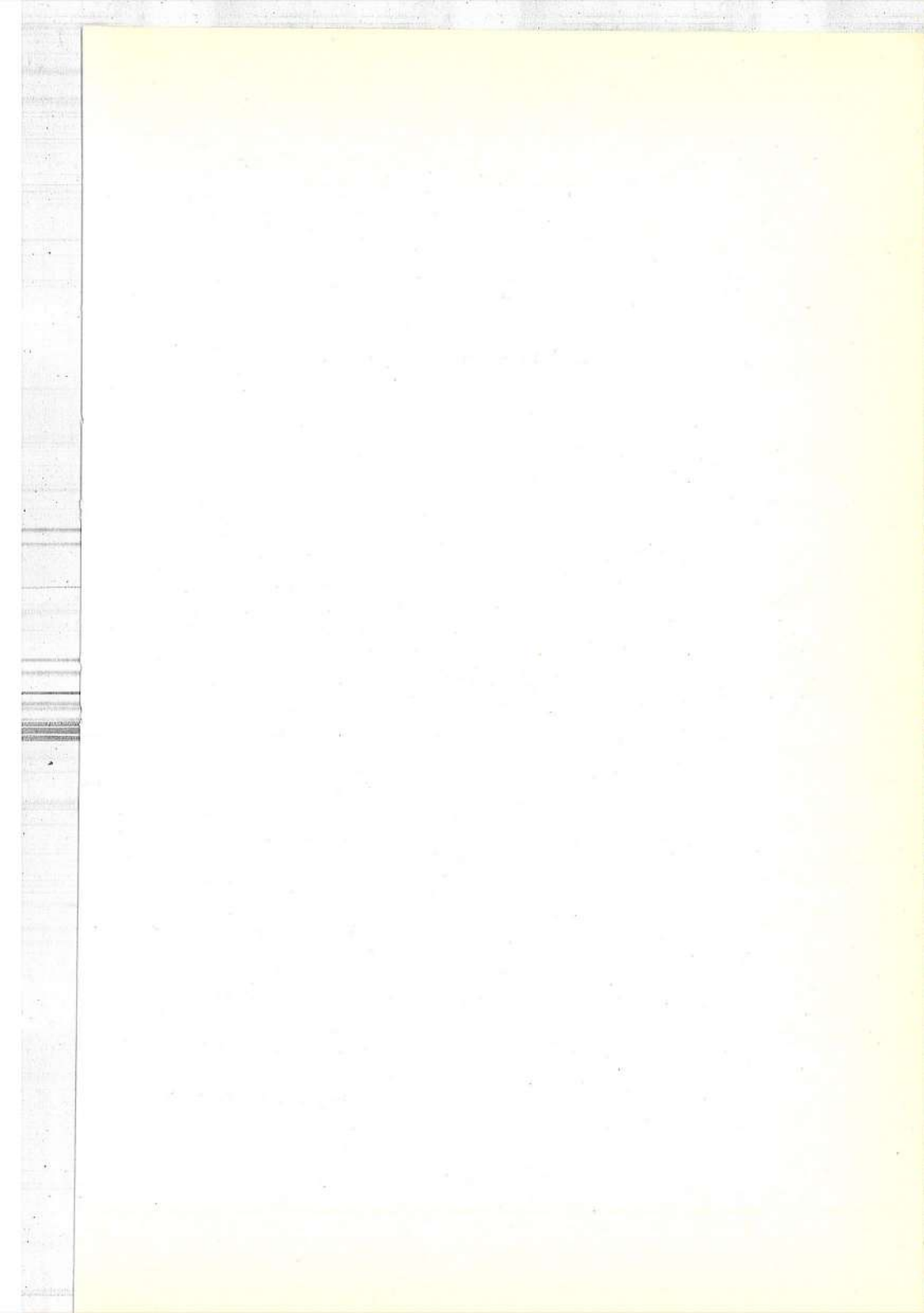
Beirut - Lebanon

First Published 2016 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

المحتويات

7	المقدمة
15	تمهيد
21	بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها
21	أ - مواقع بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها
27	ب - صفة بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها
31	البيت والحُجرة
43	بيت عائشة «أُنموذجًا»
65	مرافق بيت عائشة
79	أثاث بيوت النبي ﷺ ومتاعها
117	معاش النبي ﷺ وأزواجه
135	الخاتمة
139	الملاحق
167	المصادر والمراجع



المقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إزالة اللبس عند بعض المهتمين بالسيرة النبوية بخصوص مفهوم كل من بيوت النبي ﷺ وحُجُرَاتُهَا. إذ إن البعض منهم يحسب أن البيت هو الحُجْرة والحُجْرة هي البيت.

وفي الواقع فإن القرآن الكريم والسيرة النبوية قد ميّزا بوضوح الفرق بين المسميين، فقد أشار القرآن الكريم إلى البيت في عدة مواضع مرة بصيغة الأفراد ومرة بصيغة الجمع، فقال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁾ وقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾⁽²⁾، ثم نوجّه الخطاب إلى أزواج النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾⁽³⁾.

أما الحُجْرة فقد كانت الإشارة إليها في القرآن الكريم مرة واحدة وجاءت بصيغة الجمع، في قوله تعالى مستهجنًا سلوك بعض الأعراب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽⁴⁾ وهكذا فلو كان المقصود بالحُجُرَات البيوت، ل جاء الخطاب نحو: إن الذين

(1) سورة الأنفال، الآية: 5.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 53.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 33.

(4) سورة الحجرات، الآية: 4.

ينادونك من وراء البيوت. ولكن هذا الخطاب لم يحدث لأن الحُجرات كما يبدو غير البيوت، ولا يمكن الخلط بين المسميين.

وجاء عن عائشة أم المؤمنين ما يؤكد على الاختلاف بين كل من البيت والحُجرة، إذ قالت في رواية لها: «كان رسول الله ﷺ يصلي في الحُجرة وأنا في البيت، فيفصل عن الشفع والوتر بتسليم يُسمعون إياه»⁽¹⁾.

وحينما أعربت إحدى الصحابيات عن رغبتها في الصلاة مع رسول الله ﷺ في مسجده، قال ﷺ: «صلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حُجرتك، وصلاتك في حُجرتك، خير لك من صلاتك في دارك...»⁽²⁾.

ليس هذا فحسب بل إننا نجد أن كلمة (بيت) قد وردت في القرآن الكريم تسع عشرة مرة (19)، وجاءت بصيغة الجمع أي: (بيوت) أربع عشرة مرة (14)، بينما كلمة (حُجرة) لم ترد في القرآن الكريم سوى مرة واحدة وبصيغة الجمع أي: (حُجرات).

لعل ما سبقت الإشارة إليه هنا يعطي انطباعاً قوياً بأن البيت شيء مختلف في معناه وأهميته عن الحُجرة، وهذا يدل على ضالة شأنها.

وحتى يزول الالتباس بين مفهومَي البيت والحُجرة، فقد جاء عن ابن عباس أنه قال: كانت قراءة النبي ﷺ على قدر ما يسمعه من في الحُجرة، وهو في البيت⁽³⁾. والمقصود بالقراءة هنا أي: قراءة رسول الله ﷺ في صلاة النافلة.

(1) أحمد بن محمد بن حنبل، المسند (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)، 6/ 84.

(2) المصدر السابق، 6/ 371؛ وقارن أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيخا، ط1 (بيروت: دار المعرفة، 1424هـ/ 2004م)، 4/ 2684-2685، (ت: 11985).

(3) سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1 (بيروت: دار الجنان، 1410هـ/ 1990م)، 1/ 423 (ح: 1327)؛ وقارن أحمد بن شعيب بن على النسائي، كتاب الوفاة: وفاة النبي ﷺ، تحقيق وتعليق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول =

ومن أجل تقديم صورة أكثر وضوحًا للتفريق بين مفهوم كل من البيت والحُجرة، فقد كان من بين أسرى بدر (2هـ/623م) من المشركين سُهيل بن عمرو العامري⁽¹⁾، حيث وضعه رسول الله ﷺ في حُجرة بيت زوجه سودة بنت زمعة، وهي أرملة السكران بن عمرو أخي سُهيل. قالت سودة: فرجعت إلى بيتي فوجدت رسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سُهيل بن عمرو في ناحية الحُجرة مجموعة يده إلى عنقه بحبل. فما ملكت نفسي أن قلت: أعطيتكم بأيديكم، ألا مَثَم كرامًا، فوالله ما أنبهي إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلى الله ورسوله تحرضين؟»⁽²⁾.

وفي إحدى المناسبات دُعي الرسول ﷺ من قبل امرأة من أصحابه إلى طعام، فذهب ﷺ ومعه جمع من أصحابه حتى ضاق بهم البيت والحُجرة⁽³⁾.

هذا ناهيك عن وليمة زفاف زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ، حيث ضاق بالمدعوين البيت والحُجرة⁽⁴⁾.

أعتقد أن ما سبق عرضه من بعض الشواهد خير دليل على ما بين البيت والحُجرة من فوارق، وأن البيت ليس هو الحُجرة كما أن الحُجرة ليست هي البيت، وأن كلاً منهما مكمل للآخر.

(القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د: ن)، ص 149.

(1) هو سُهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري، وأمه ريطة بنت زهير، وهو خطيب قريش ومن كبار أشرافها، أسره المسلمون يوم بدر. المصعب بن عبد الله الزبيري، كتاب نسب قريش، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال (القاهرة: دار المعارف، د: ت)، ص 417-418.

(2) عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وجماعة (بيروت: دار إحياء التراث = العربي، 1417هـ/1997م)، 2/256؛ أبو داود، 2/63-64، (ح: 2680).

(3) محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، د: ت)، 1/177.

(4) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، 1403هـ)، 2/1051 (كتاب النكاح) (ح: 94) وقارن ابن سعد، 8/104-107.

في الواقع إنه ليس من شأن هذه الدراسة حصر المصادر التاريخية والدراسات الحديثة التي لم تفرق بين معنى كل من البيت والحُجْرة، لأن ذلك يصعب على الحصر ويبدد الجُهد. ولكن لعل من أحدث ما كُتب في هذا الموضوع حسب علمي هو: الحُجُرات الشريفة سيرة وتاريخاً⁽¹⁾. حيث تحدث المؤلف بإسهاب عن الحُجُرات النبوية، ولم يحاول إبراز الفرق بين الحُجْرة والبيت، وكأن المسميين يعينان شيئاً واحداً. والدراسة الأخرى بعنوان: بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف⁽²⁾. وعلى الرغم من الجهد المبذول في التعرف على مواقع بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، والرسوم التوضيحية الكثيرة التي صممها المؤلف، إلا أنه أخفق هو الآخر في التفريق بين كل من بيوت النبي ﷺ وحُجُرَاتُهَا، وذلك حسب ما أظهرته الرسوم التوضيحية التي أعدها المؤلف⁽³⁾.

ثم إن محمد سليمان النفيسي، كتب بحثاً مطولاً في مجلة الفرقان في عدة حلقات تربو على العشر بعنوان: «الحُجْرة النبوية عبر التاريخ»، وهو مثله مثل من سبقوه لا يميز بين البيت والحُجْرة، إذ إن بيت عائشة الذي دُفن فيه النبي ﷺ هو في نظره حُجْرة وهذا مناقض للواقع⁽⁴⁾.

(1) صفوان عدنان داوودي، الحُجُرات الشريفة سيرة وتاريخاً، ط1 (جدة: دار القبلة، 1413هـ/ 1993م).

(2) محمد إلياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط2 (المدينة: مركز طيبة للطباعة، 1418هـ/ 1997م).

(3) انظر: المرجع نفسه، ص20، وانظر: ملحق رقم (2)؛ وقارن ملحق رقم (3) من تصميم مؤلف هذا الكتاب؛ وانظر كذلك: التصميم المقترح لبيت السيدة عائشة وحُجُرَتِهَا. ملحق رقم (4).

(4) محمد سليمان النفيسي، «الحُجْرة النبوية عبر التاريخ»، مجلة الفرقان، العدد (41) الحلقة الثالثة (الكويت: 1414هـ)، انظر: ملحق رقم (1) شكل (2) وقارن ملحق (3) من تصميم المؤلف، ص113.

وفي الآونة الأخيرة صدر كتاب بعنوان: حُجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ: تاريخها وأحكامها⁽¹⁾. لمؤلفه عبد الرحمن بن سعد الشثري، وهو الآخر حذا حذو من سبقوه، فلم يميز بين مصطلح البيت ومصطلح الحُجْرَة، حتى أنه جعل عنوان كتابه: حُجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ علماً أن المؤلف استشهد بروايات كثيرة حول البيت والحُجْرَة، ولكنه حسب ما يظهر لم يستفد منها، وظل يتحدث عن الحُجْرَة بالتفصيل وهو يقصد البيت!

ملحوظة أخيرة حول الدراسات السابقة؛ يُلاحظ أن كلا مخططي البيوت والحُجُرَات⁽²⁾ التي أرفقها كل من إلياس عبد الغني ومحمد النفيسي في بحثيهما يشتركان في عدم التفريق بين البيت والحُجْرَة ويشتركان كذلك بالفصل بين بيت النبي ﷺ أي: بيت عائشة وبيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وزوجها علي، وهذا خلاف الواقع. إذ إن بيت رسول الله ﷺ وبيت ابنته متلاصقان ليس بينهما فاصل سوى حائط؛ وخير دليل على ذلك أنه كان بين البيتين خوخة - أي: فتحة - أو كُوة وكان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل أطلع منها ليعلم خبرهم⁽³⁾. ومن الإشكالات في كلا المخططين أنهما يجعلان بيت سودة ملاصق لبيت عائشة! وهذا تصور يفتقر إلى الدقة؛ إذ قالت عائشة في حديثها عن بيت سودة: «... وبني رسول الله ﷺ بسودة في أحد تلك البيوت التي إلى جنبي، فكان رسول الله ﷺ يكون عندها»⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمن بن سعد الشثري، حُجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ: تاريخها وأحكامها، ط1 (الرياض: دار الفضيلة، 1436هـ).

(2) انظر: ملحق رقم (1) من هذا الكتاب ص111، وقارن بين شكل (1) تصميم عبد الغني، وكذلك شكل (2) تصميم النفيسي.

(3) انظر: محمد بن محمود البغدادي ابن النجار، تاريخ المدينة، المسمى الدُرَّة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1 (المدينة: دار الزمان، 1424هـ)، ص178.

(4) ابن سعد، 63/8.

وهكذا فالإفادة السابقة للسيدة عائشة لا يفهم منها أن بيت سودة كان لصيقاً لبيتها، فهو كما قالت: «في أحد تلك البيوت التي إلى جنبي...». ومرة أخرى فإن بيت السيدة سودة ليس قريباً من بيت عائشة كقرب بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب من بيت عائشة، على الرغم من أن البيتين يفصل بينهما زقاق ضيق! إذ قالت عائشة: أنها وحفصة كانتا تتبادلان الحديث وهما في منزليهما من قُرب ما بينهما⁽¹⁾.

ويمكن الخروج من هذا كله بما جاء عند علي حافظ في حديثه عن حدود بيت عائشة، ولعله الأقرب إلى الصواب؛ إذ جاء عنده أن حدَّ بيت عائشة من الشرق، الموضع المعروف بمحل مصلى الجنائز؛ الذي كان ﷺ يُصلي على الجنائز فيه⁽²⁾.

لذلك فإن بيت السيدة سودة ليس ملاصقاً لبيت السيدة عائشة، لكنه يقع إلى جهة الشرق من بيتها.

وعلى الرغم مما ظهر في مخطط النفيسي من محاولة التفريق بين كل من البيت والحُجرة، إلا أن فهمه لكل منهما جاء ملتبساً إن لم يكن متناقضاً! فقد ورد في تعليقه على السُهيلي في حديثه عن بيوت النبي ﷺ وحُجراتها قوله: أن الزين المراغي نقل عن السُهيلي أنه قال: «إن الحُجَر والبيوت خلطت بالمسجد زمن عبد الملك [هكذا] ابن مروان» والمقصود طبعا الوليد بن عبد الملك.

ثم قال النفيسي مستغرباً ومصححاً، «ثم كيف يكون هذا التصور

(1) علي بن أحمد السهمودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ / 2001م)، 2/ 299.

(2) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط3 (جدة: شركة المدينة للطباعة، 1417هـ / 1996م)، ص117.

محدودًا بهذا الشكل. والبيوت ليس بها مرافق كالْحُجْرَة والمطابخ والأفنية وأماكن قضاء الحاجة...؟ التسمية بالحُجْرَات لا تصح: لأن الحُجْرَات تقع في ناحية البيوت أو شرقيها، فالحُجْرَات لا تحوي الأفنية ولا المطابخ بخلاف الأبيات⁽¹⁾.

وهكذا من الواضح أن النفيسي أراد أن يُصلح الأمر فأفسده، إذ إنه في تعليقه هذا وضع القارئ أمام تناقض، حيث أصبح معه لا يدري حقًا ما الفرق بين البيوت والحُجْرَات.

أمام هذا الالتباس الحاصل لدى بعض الدارسين في السيرة النبوية قديمًا وحديثًا، فإن هذه الدراسة تسعى إلى إزالة ذلك اللبس، وتقديم تعريف واضح لكل من البيت والحُجْرَة وبيان وظيفة كل منهما، ومدى ارتباط كل منهما بالآخر، وسيكون بيت السيدة عائشة وحُجْرَتُهَا هما النموذج الذي تدور عليه الدراسة، حيث إن بيت عائشة هو البيت الذي عاش فيه الرسول ﷺ أيامه الأخيرة. وفي البيت نفسه لفظ أنفاسه حيث دفن فيه.

وبطبيعة الحال؛ فما دام أن بيت عائشة وحُجْرَتُهَا هما أنموذج لبيوت النبي ﷺ وهما اللذان ستركز عليهما الدراسة، فلا بد إذاً من إلقاء الضوء على مرافق ذلك البيت وما يحويه من أثاث ومتاع. مضافاً إلى ذلك معيشة رسول الله ﷺ وأهل بيته، والغرض من ذلك تقديم صورة تقريبية لما كانت عليه بيوت رسول الله ﷺ من الناحية المادية والمعاشية.

وأخيراً فإنني مدين بالشكر للأخوة الزملاء الذين قرأوا مسودات هذا

(1) محمد سليمان النفيسي، «بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف» ملاحظات واستدراكات، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد (45) 2/25/1425هـ (أبوظبي: مركز جمعة الماجد، 1425هـ)، ص74.

البحث وقدموا ملحوظات علمية مفيدة، كان لها الأثر الكبير في إثرائه، وهم: الأستاذ الدكتور عبد العزيز الهلابي، والأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع، والأستاذ الدكتور محمد الثنيان، والدكتور عمر العقيلي.

ولا أنسى أن أشكر الأخ الدكتور فهد بن محمد الشمري، رئيس قسم التربية الفنية بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، الذي أبدى إعجابه الشديد بموضوع الكتاب، وكذلك فكرة تصميم بيت السيدة عائشة وحُجرتها، والشكر موصول للأخ أمين حاتم من اليمن الشقيق، طالب الدراسات العليا بقسم التربية الفنية، الذي استجاب مشكوراً لطلب الدكتور الشمري للقيام بتنفيذ التصميم المقترح لبيت السيدة عائشة وحُجرتها.

تمهيد

منذ أن جهر رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله في بطاح مكة، وجد من قريش رفضاً لها وتكذيباً للرسول ﷺ والسخرية منه وما يدعو إليه؛ ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل إن قريشاً ألحقت الأذى والاضطهاد بالمستضعفين من أصحابه.

وفي موجة الأذى والاضطهاد هذه، نصح الرسول ﷺ بعض أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، فراراً بدينهم وحماية لأنفسهم⁽¹⁾.

وأمام هذا التطور الجديد في المواجهة بين المسلمين وقريش في مكة، قررت قريش مقاطعة آل هاشم وآل عبد المطلب، ودامت هذه المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية قرابة ثلاث سنين⁽²⁾. وبعدها زالت المحنة وخرج منها رسول الله ﷺ وأصحابه أكثر قوة وصلابة واستعداداً للبذل من أجل عقيدتهم، ورافق ذلك ازدياد ضغط قريش على المسلمين ومضايقتهم في ممارساتهم الدينية والمعيشية.

وحيث أن مكة لم تعد المكان الملائم للدعوة الجديدة أي:

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 358-375؛ محمد بن فارس الجميل، الهجرة إلى الحبشة: دراسة مقارنة للروايات، ط2 (الرياض: دار الفيلس الثقافية، 1425هـ / 2004م)، ص2-27.

(2) راجع خير صحيفة المقاطعة عند ابن هشام، 1/ 388 - 391؛ وانظر: عبد العزيز بن صالح الهلابي، «مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب» سلسلة دراسات تاريخية (الرياض: مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة لملك سعود، 1414هـ / 1993م)، 1/ 3 - 52.

الإسلام. وما يترتب عليه من قيم أخلاقية ودينية واجتماعية، فقد أذن الله للمسلمين من أهل مكة بمغادرتها إلى أرض الإيمان الجديدة، فقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى [أي: توهم] أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»⁽¹⁾.

وجاء في رواية أخرى قوله ﷺ: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان»⁽²⁾ ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة إذ قال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها»⁽³⁾. فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالهجرة إلى المدينة⁽⁴⁾.

فمكث رسول الله ﷺ في مكة قرابة ثلاثة أشهر بعد هجرة أصحابه، منتظراً الإذن الإلهي له بمغادرة مكة. ولكن قريشاً كانت في خلال هذا الوقت تدبر أمر التخلص منه سجنًا، أو قتلاً أو طردًا وجاء ذلك مسطوراً في القرآن: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾⁽⁵⁾ [الأنفال: 30]⁽⁶⁾ لذلك فقد

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط1 (الرياض: دار السلام، 1417هـ/1997م)، ص798 (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة).

(2) البخاري، الصحيح، ص800 (ح: 3905).

(3) ابن هشام، 2/81-93.

(4) المصدر نفسه، 2/81.

(5) سورة الأنفال، الآية: 30.

(6) ابن هشام، 2/94-96؛ وانظر: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطار وعرفان العشاء، ط1 (بيروت: دار الفكر، 1419هـ/1999م)، 284/4.

قرر رسول الله ﷺ مغادرة مكة مهاجرًا إلى المدينة، بعد أن اتخذ التدابير والاحتياطات اللازمة لسلامة المهاجرين⁽¹⁾، إذ التجأ هو وصاحبه أبو بكر الصديق إلى غار ثور⁽²⁾ جنوب مكة، وأقاما فيه ثلاث ليالٍ حتى هدأ عنهم الطلب⁽³⁾، ثم واصلا الرحلة في طريقهما إلى المدينة. وكان خروجهما من الغار ليلة الاثنين لأربع ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول⁽⁴⁾ على الأرجح.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين ربيع الأول، ولبث في بني عمرو بن عوف بقاءً بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى⁽⁵⁾؛ أي: مسجد قباء. وجاء عند ابن هشام أن رسول الله ﷺ وصل المدينة يوم الاثنين في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول⁽⁶⁾.

(1) انظر: ابن هشام، 2/ 98-100؛ ابن سعد، 1/ 227-230.

(2) ثور: جبل جنوب مكة عالٍ أغبر يُرى من جميع نواحيها المرتفعة، وبه غار ثور الذي أختبأ فيه رسول الله ﷺ وصاحبه أول مهاجرته، ولا يبعد عن مكة أكثر من خمسة أكبال، وقد وصل عمران مكة إلى سفوحه الشمالية. انظر: عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط1 (مكة: دار مكة للطباعة، 1402هـ/ 1982م)، ص72.

(3) ابن سعد، 1/ 229.

(4) ابن سعد، 1/ 232؛ وقارن محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4 (القاهرة: دار المعارف، د: ت)، 2/ 365-366.

(5) البخاري، الصحيح، ص801-802، (ح: 3906)؛ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المغازي النبوية، تحقيق: شهيل زكار، ط1 (دمشق: دار الفكر، 1400هـ/ 1980م)، ص104.

(6) ابن هشام، 2/ 105؛ ابن سعد، 1/ 233؛ في الموضع نفسه ذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ قدم المدينة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ويبدو أن الأمر لا يخلو من لبس. وانظر: عبد الرحمن بن عبد الله الشهيبي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة: مؤسسة مختار للطباعة والنشر، د: ت)، 1/ 245، في الواقع أن كلا من البخاري والزهري لم يذكر تاريخ وصول النبي ﷺ إلى المدينة بل ذكرا أنه قدم إليها في يوم الاثنين من ربيع الأول. والاحتمال الأرجح أنه قدم المدينة في يوم الاثنين الموافق للثاني عشر من ربيع الأول. كما جاء عند ابن هشام وابن سعد في إحدى رواياته.

فأقام في قُباء أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملاً من بني النجار، فجاءوا متقلدي السيوف؛ قال أنس بن مالك: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملاً من بني النجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب⁽¹⁾. إذ بركت ناقته في موضع مسجده، وكان مربداً لغلّامين يتيمين من بني النجار، فقال: «هذا إن شاء الله المنزل»⁽²⁾. ثم قال رسول الله ﷺ: «أي بيوت أهلنا أقرب؟» قال أبو أيوب: أنا يا نبي الله! هذه داري، وهذا بابي. قال: «فانطلق فبهيئ لنا مقيلاً»⁽³⁾.

فأقام رسول الله ﷺ في ضيافة أبي أيوب بضعة أشهر حتى بنى مسجده وبيوت أزواجه.

ثم إن رسول الله ﷺ لما أمر ببناء المسجد في المربد⁽⁴⁾ الذي بركت فيه ناقته أرسل إلى ملاً من بني النجار، وقال لهم: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا» قالوا: «لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى»⁽⁵⁾.

وجاء في رواية عن الزهري، أن رسول الله ﷺ ابتاعه بعشرة دنانير

(1) البخاري، الصحيح، ص 808 (ح: 3932)؛ وقارن ابن هشام، 2/ 108-110؛ ابن سعد، 1/ 235-236. أبو أيوب هو: خالد بن زيد بن كليب بن مالك بن النجار الخزرجي، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار. شهد أبو أيوب بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ توفي غازيًا بلاد الروم في سنة 52 هـ وقيل سنة 51 هـ ودفن عند أسوار القسطنطينية. ابن سعد، 3/ 484 - 485؛ علي بن محمد الجزري ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط 1 (بيروت: دار المعرفة، 1418 هـ)، 381 / 4 - 382 (ت: 5715).

(2) البخاري، الصحيح، ص 802 (ح: 3906)؛ الزهري، ص 104.

(3) البخاري، الصحيح، ص 803 (ح: 39011)؛ ابن سعد، 1/ 236.

(4) المربد: هو الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف، وهو المسطح والجرين في لغة أهل نجد. والمربد للتمر كالبيدر للحنطة... انظر: ابن منظور، مادة «ربد»، 3/ 171.

(5) البخاري، الصحيح، ص 808 (ح: 3932)؛ ابن سعد، 1/ 240.

وأمر أبا بكر أن يعطيهم ذلك⁽¹⁾. وياشر رسول الله ﷺ بنفسه العمل مع أصحابه في بناء المسجد، وأمر باللبن أن يضرب، وجعلوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللبن⁽²⁾. وقد شارك في بناء المسجد أحد بني حنيفة ويدعى طلق بن علي، قال: «قدمت على رسول الله ﷺ وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين ورسول الله ﷺ ينظر إليّ ويقول: إن هذا الحنفي لصاحب طين»⁽³⁾. وكان طول المسجد مما يلي القبلة إلى مؤخره مئة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك فهو مربع المساحة تقريباً⁽⁴⁾ ثم صفوا جذوع النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادته حجارة⁽⁵⁾. وقبلته إلى بيت المقدس. وجعل له ثلاثة أبواب وسقفه جريد النخل⁽⁶⁾.

ثم إن رسول الله ﷺ لما فرغ من بناء المسجد، بنى بيوتاً إلى جانبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد⁽⁷⁾. وهذه البيوت هي موضوع هذه الدراسة.

(1) انظر: ابن سعد، 1/ 239.

(2) المصدر نفسه، 1/ 239.

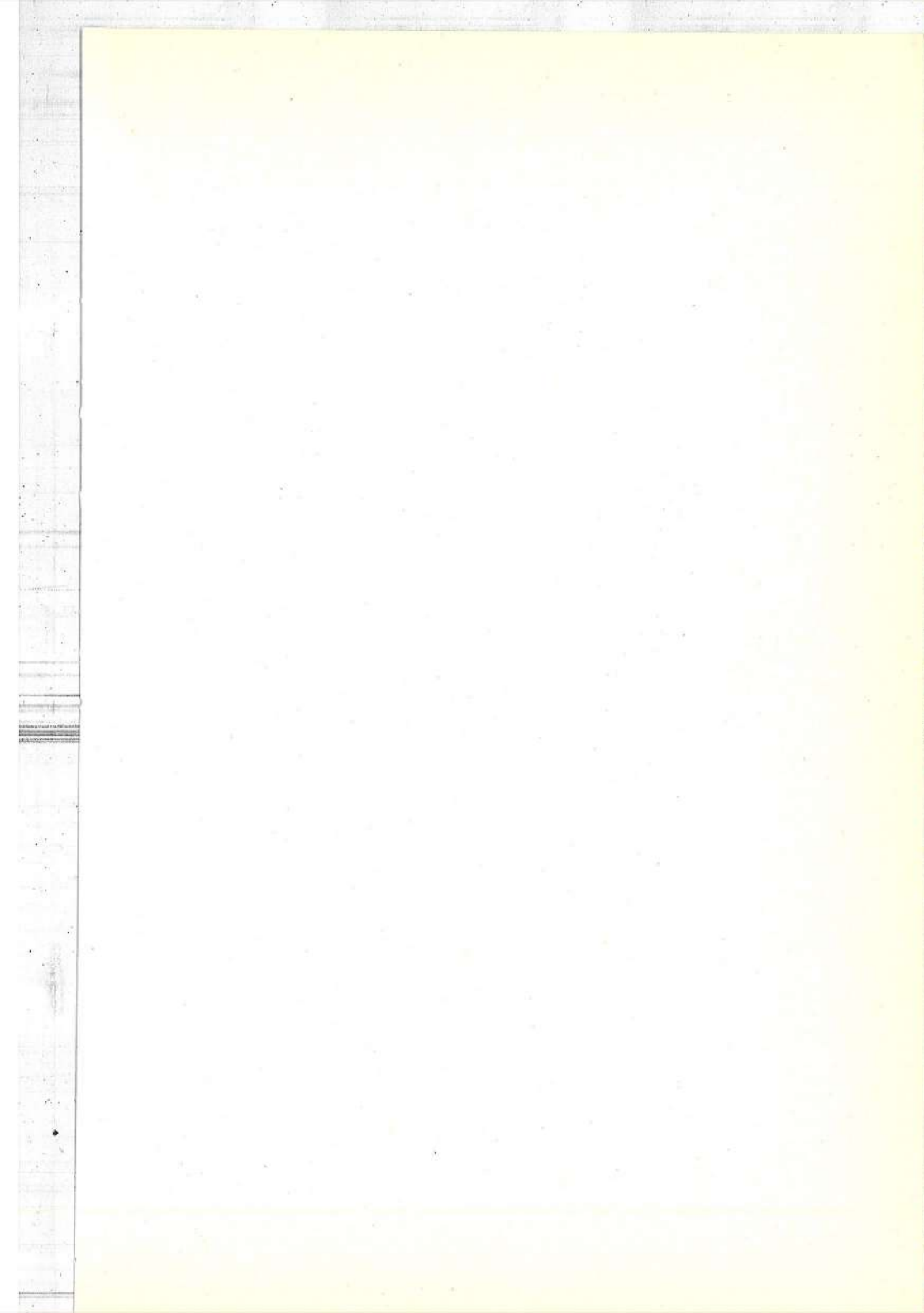
(3) ابن سعد، 5/ 552؛ محمد بن حبان البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط 1 (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ / 1987م)، ص 143. جاء عند ابن حبان في هذا الموضع أن النبي ﷺ قال: قربوا الطين من اليمامي، فإنه من أحسنكم به مسكاً.

(4) انظر: ابن سعد، 1/ 239.

(5) البخاري، الصحيح، ص 808 (ح: 3932).

(6) ابن سعد، 1/ 240؛ وانظر: السهيلي، 1، 2/ 248.

(7) ابن سعد، 1/ 540.



بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها

أ - مواقع بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها،

في الأيام الأولى من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة اختار الله نبيه الكريم إلى جواره، وقد ترك خلفه تسع زوجات⁽¹⁾، كل واحدة منهن تعيش في بيت مستقل، إدراكاً منه ﷺ لخصوصية كل امرأة من نساءه واستقلاليتها. وعلى كل، إن كانت المصادر التي بين أيدينا تذكر لنا بيوت أزواج رسول الله ﷺ إلا أنها لا تكاد تتفق على أماكنها حول المسجد النبوي، أي: في أي الجهات من المسجد؟ ويُعدُّ ابن سعد (ت: 230هـ/ 844م) من المصادر المتقدمة التي أشارت إلى بيوت النبي ﷺ تلك، التي أنشئت تزامناً مع بناء المسجد: وهما بيت عائشة بنت أبي بكر، وبيت سودة بنت زمعة إلا أنه لم يذكر الجهة التي يقعان فيها⁽²⁾. ولكن ابن زبالة (ت: 199هـ/ 814م) نقل عن أحد مصادره، أن بيوت النبي ﷺ كانت منتشرة في جهة القبلة وفي الشرق والشمال وليس غربي المسجد منها شيء⁽³⁾. وجاء عند ابن النجار (ت: 643هـ/ 1245م) قوله: ضرب النبي ﷺ الحُجرات ما بينه وبين القبلة

(1) انظر: ابن هشام، 4/ 300-305؛ ابن سعد، 8/ 52-132.

(2) ابن سعد، 1/ 240.

(3) محمد بن الحسن بن زبالة، أخبار المدينة، جمع ودراسة صلاح عبد العزيز بن سلامة، ط1 (المدينة: مركز بحوث دراسات المدينة المنورة، 1424هـ)، ص 93-94.

والشرق إلى الشام ولم يضربها في غريبه، وكانت خارجة من المسجد، مديرة به إلا من الغرب، وكانت أبوابها شارعة في المسجد⁽¹⁾.

وجاء في مصدر آخر ما يناقض ما ذكره ابن النجار بخصوص الجهات التي تقع فيها بيوت رسول الله ﷺ، فقد أشار ابن الجوزي (ت: 597هـ/ 1200م) بصورة حاسمة إلى أن منازل أزواج النبي ﷺ كلها تقع في الشَّقِّ الأيسر إذا قمت إلى الصلاة، إلى وجه الإمام في وجه المنبر، هذا أبعد⁽²⁾.

وإذا فُرض جدلاً أن جميع بيوت النبي ﷺ تقع في الجهة الشرقية من المسجد فإن أول بيتين بنيا في تلك الجهة هما بيتا سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر الصديق، إذ إنهما ملاصقان للمسجد النبوي من الجهة الشرقية، حيث جاء عند ابن سعد قوله: وبنى بيوتاً إلى جانبه -أي: المسجد- باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابه شارع إلى المسجد، وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان⁽³⁾. ويظهر من هذه الرواية أن بيت سودة يجاور بيت عائشة من الشرق؛ ولا يطل على المسجد، بل ربما يقع قبالة دار عثمان بن عفان⁽⁴⁾.

أما بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب (ت: 45هـ/ 665م) فيقع جنوب المسجد أي: في قبلته.

وكان بيت حفصة مواجهاً لبيت عائشة من جهة القبلة، وكان بين بيتي

(1) ابن النجار، تاريخ المدينة المنورة، ص 175.

(2) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: راشد الحلي، ط 1 (صيدا: المكتبة العصرية، 1425هـ/ 2004م)، ص 202؛ السهمودي، وفاء، 2/ 199.

(3) ابن سعد، 1/ 240.

(4) انظر: السهمودي، وفاء، 2/ 216؛ عبد الغني، بيوت الصحابة، ص 26.

حفصة وعائشة طريق ضيق أي: -زقاق-، فكانتا تتبادلان الحديث وهما في منزليهما، من قرب ما بينهما⁽¹⁾.

وكذلك فإن بيت أم سلمة (ت: 59هـ/ 678م) يقع في الجهة الشرقية من المسجد النبوي، وفي حقيقة الأمر فإن هذا البيت كان يخص أم المؤمنين زينب بنت خزيمة (ت: 4هـ/ 625م) فلما توفيت وتزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة، نقلها إلى بيت زينب⁽²⁾. وبيت أم سلمة يقع في الجهة الشرقية من بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ⁽³⁾. ولذلك فإن بيت زينب الذي سكنته أم سلمة أخيراً يطل على الطريق الخارج من باب جبريل من الشمال، ويحدّه غرباً منزل فاطمة بنت رسول الله ﷺ⁽⁴⁾. ويتبين من حديث توبة أبي لبابة (ت: 35-40هـ/ 655-660م تقريباً)⁽⁵⁾. أن بيت أم سلمة كان قريباً جداً من المسجد، فقد نزلت توبة أبي لبابة على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة، قالت: قلت: ألا أبشره يا رسول الله! قال: «بلى إن شئت» فقامت على باب حُجَرَتِهَا، وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب، فقالت: «يا أبا لبابة أبشر...»⁽⁶⁾.

(1) السهودي، وفاء، 2/ 264 و299؛ وقارن عبد الغني، ص 26.

(2) ابن سعد، 8/ 92.

(3) عبد الغني، ص 27، نقلاً عن كتاب المناسك للحري، ص 373.

(4) انظر: عبد الغني، ص 27؛ وجاء عن أم سلمة أنها قالت: كان فراشها حيال -بجانب- مسجد النبي ﷺ انظر: أبو داود، 2/ 469 - 470 (ح: 4148).

(5) أبو لبابة هو: أبو لبابة بن عبد المنذر بن رفاعة بن زهير بن أمية من الأوس استعمله رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى بدر، وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدا. وشهد سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وهو الذي أشار إلى يهود بني قريظة بأن مصيرهم القتل، في أثناء حصارهم، فعلم أنه خان الله ورسوله، فربط نفسه بسارية مسجد النبي ﷺ حتى تاب الله عليه. وكانت وفاته ما بين عامي (35-40هـ)، ابن سعد، 3/ 457؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 5/ 81-82 (ت: 6207).

(6) ابن هشام، 1/ 261-262؛ وقارن الروايات المختلفة حول توبة أبي لبابة عند ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (بيروت: دار المعرفة، د: ت)، 2/ 70-71؛ =

والمصادر المتوافرة للبحث لا تقدم معلومات دقيقة عن بيت صفية بنت حُيٍّ (ت: 50 أو 52هـ/ 670 أو 672م تقريباً)، ولكن وردت في أحد المصادر إشارة عارضة تفيد أن بيتها يقع بجوار دار عثمان بن عفان (ت: 35هـ/ 655م)، إذ إنه عندما حوَصِرَ وقُطِعَ عنه الماء والطعام، وضعت صفية خشباً بين منزلها ومنزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام⁽¹⁾. ومعلوم أن دار عثمان تقع في الجهة الشرقية من المسجد النبوي، مقابل باب جبريل⁽²⁾. وجاء في إشارة عند البخاري (ت: 256هـ/ 869م) أن بيت صفية بنت حُيٍّ، يقع في دار أسامة⁽³⁾. ويعلق ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ/ 1448م) على هذا الخبر، أنه لم يكن آنذاك داراً مستقلة لأسامة بن زيد بحيث تسكن فيها صفية، ولكن المقصود هنا الدار التي أصبحت فيما بعد لأسامة، وكانت بيوت أزواج النبي ﷺ حوالي أبواب المسجد⁽⁴⁾. وكذلك فإن بيت صفية يقع في الجهة الشرقية من المسجد، حيث جاء في الحديث قوله: «فقام النبي ﷺ معها أي: مع صفية -يقلبها- [أي: يرافقها إلى باب المسجد] حيث كان معتكفاً، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة...⁽⁵⁾. ومعلوم أن باب بيت أم سلمة يقع في الجهة الشرقية.

= وعن انتقال أم سلمة إلى بيت زينب بنت خزيمة، انظر: ابن سعد، 8/ 92-94.

(1) ابن سعد، 8/ 128.

(2) السهودي، وفاء، 2/ 211، 216؛ عبد الغني، ص 89 - 91.

(3) انظر: البخاري، الصحيح، ص 401، (ح: 2038).

(4) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط 2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م)، 351-350/4.

(5) البخاري، الصحيح، ص 400 - 401 (ح: 2035).

والمصادر المتوافرة للبحث لا تقدم صورة واضحة عن بيت زينب بنت جحش (ت: 20هـ/640م) إذ إن الإشارة إلى بيتها تأتي مقترنة بمناسبة زواجها من رسول الله ﷺ وما رافق ذلك من وليمة العرس، وما نزل في تلك المناسبة من قرآن. قال أنس بن مالك؛ (ت: 91 أو 93هـ/709 أو 711م تقريبًا): «لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش أطعمنا عليها الخبز واللحم، حتى امتدَّ النهار وخرج الناس وبقي رهط يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله ﷺ ... يتبع حُجْر نسائه ليسلم عليهن...»⁽¹⁾.

فهذه الإشارة ربما توحي بأن بيت زينب لم يكن بعيدًا عن بقية بيوت أزواج النبي ﷺ، وفي السياق نفسه يذكر أنس، أن رسول الله ﷺ أمر أن يدعو من كان في المسجد لحضور وليمة العرس، بل وأن يدعو من كان في الطريق، قال: فامتلات الحُجْرَةُ والبيت⁽²⁾.

كل هذه المؤشرات تشعر القارئ على نحو (ما) أن بيت زينب كان مجاورًا للمسجد النبوي، وملاصقًا لبعض بيوت أزواجه ويقع في الجهة الشرقية من المسجد، حيث إن أكثر بيوت أزواج رسول الله ﷺ تقع في تلك الناحية⁽³⁾.

وجاء عند ابن سعد بسنده، عن الواقدي، قال: قال لي أبو بكر بن حزم وهو في مصلاه في مسجد النبي ﷺ: بين الإسطوانة التي تلي حرف القبر - أي: قبر النبي - إلى طريق باب رسول الله ﷺ: «هذا بيت زينب بنت

(1) انظر: ابن سعد، 8/105، وقارن البخاري، الصحيح، ص 1020 (ح: 4793).

(2) ابن سعد، 8/104-105، 106-107.

(3) ابن سعد، 8/500؛ ابن الجوزي، ص 202.

جحش، وكان رسول الله يصلي فيه، وهذا كله إلى باب أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إلى رجة المسجد، فهذه بيوت النبي التي رأيته بالجريد، قد طُرْتُ بالطين⁽¹⁾ عليها مسوح الشعر⁽²⁾.

أما ما يتعلق ببيت أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان (ت: 44هـ/ 664م) فالمعلومات عنه شحيحة للغاية فقد ذكر السهمودي (ت: 911هـ/ 1505م) نقلاً عن أحد مصادره: «اتخذت أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها الدار التي يقال لها دار آل شرحبيل، فوهبتها لشرحبيل بن حسنة، فلم تزل لبنه حتى باعوا صدرها من المهدي، فزادها في مؤخر مسجد رسول الله ﷺ سنة إحدى وستين ومئة»⁽³⁾.

وهكذا فإن كون هذه الدار واقعة في مؤخر المسجد، فإن ذلك يعني أنها في الجهة الشمالية⁽⁴⁾، فهي منفردة عن بقية بيوت أزواج النبي ﷺ حسب ما يظهر من الرواية.

أما بقية أزواج النبي مثل: جويرية بنت الحارث (ت: 50هـ/ 670م)، وميمونة بنت الحارث الهلالية (ت: 51هـ/ 671م) فليس لدينا معلومات ذات قيمة عن بيوتهن⁽⁵⁾.

ويظهر أن معظم بيوت أزواج النبي ﷺ الواقعة في الجهة الشرقية من المسجد كانت من منازل حارثة بن النعمان، فكان كلما أحدث رسول الله

(1) طُرْتُ بالطين: أي: طليت به.

(2) ابن سعد، 8/ 500.

(3) السهمودي، وفاء، 2/ 295.

(4) انظر: عبد الغني، ص 123.

(5) انظر: ابن سعد، 8/ 116 - 120، 132 - 140.

أهلاً تحول له حارثة عن منزل بعد منزل، حتى قال رسول الله ﷺ: «لقد استحيتُ من حارثة بن النعمان مما يتحول لنا عن منازلِه»⁽¹⁾.

ب - صفة بيوت النبي ﷺ وحُجراتُها:

إن أفضل مصدر حفظ لنا صورة تقريبية لبيوت النبي ﷺ هو ابن سعد في طبقاته نقلاً عن شيخه الواقدي، الذي قدم لنا عن طريق بعض رواته تصويراً دقيقاً لما كانت عليه بيوت النبي ﷺ، من حيث المظهر المادي الذي اتَّسم بالبساطة الشديدة والزهد بمظاهر الدنيا وزخرفها. فكانت تلك البيوت خير شاهد على رفض النبي ﷺ للمظاهر الدنيوية وبهرجها وتفاخرها، وصورة هذه البيوت نقلت لنا على النحو التالي:

ذكر الواقدي (ت: 207هـ / 822م) بسنده عن عبد الله بن يزيد الهذلي (ت: 149هـ / 766م)⁽²⁾ أنه قال: «رأيت بيوت أزواج النبي ﷺ حيث هدمها عمر بن عبد العزيز - أيام ولايته على المدينة (87-88هـ / 670-671م) من قبل الوليد بن عبد الملك - كانت بيوتاً باللبن، ولها حُجُرٌ من جريد مطرورة بالطين، عددت تسعة أبيات بحُجَرِها وهي ما بين بيت عائشة ﷺ إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ ... ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها

(1) ابن سعد، 488/3؛ وحارثة بن النعمان، هو حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن غنم، وشهد حارثة بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكانت لحارثة منازل قرب منازل رسول الله ﷺ، فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلاً تحول له حارثة عن منزل بعد منزل ... وتوفي حارثة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، 487/3 - 488؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 1/ 407-408 (ت: 1003).

(2) هو: عبد الله بن يزيد الهذلي بن قُتَيْس، من أنْفُسِهِمْ، ويكنى أبا يزيد مات سنة 149هـ. روى عنه ابن أبي ذئب وسعيد بن المسيب، ابن سعد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، دراسة وتحقيق: زياد محمد منصور، ط2 (المدينة: مكتبة العلوم والحكم، 1408هـ)، (ت: 268) ص 354.

من لبَن»⁽¹⁾. وجاء في رواية عن عمران بن أبي أنس (ت: 117هـ/ 735م) قال: «أدركت حُجَرَ أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود»⁽²⁾.

ويُلاحظُ على الرواية الأخيرة أنها تتحدث عن الحُجرات، ولم تذكر شيئاً عن البيوت، ومعلوم أن الحُجرات من حيث البناء تختلف عن البيوت وهذا ما سيتطرق له البحث لاحقاً.

وفي رواية أخرى لعمران بن أبي أنس تختلف عن الرواية السابقة من حيث المعلومات المفصلة، إذ جاء فيها عن بيوت النبي ﷺ: «كان منها أربعة أبيات بلَبَن لها حُجَرٌ من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة [أي: مغطاة بطبقة من الطين] لا حُجَر لها، على أبوابها مسوح الشعر، زرعت الستر فوجدته ثلاثة في ذراع»⁽³⁾. ومما يؤخذ على هذه الرواية أنها تصنف بيوت النبي ﷺ إلى صنفين: صنف بحُجرات؛ وصنف آخر دون حُجرات، علماً أن الحُجرة لا غنى عنها لكل بيت إذ إنها «تكف أبصار الناس»⁽⁴⁾. أي: أنها بمثابة السور الخارجي للبيت.

وجاء عند السهيلي (ت: 581هـ/ 1185م) أن بيوت النبي ﷺ تسعة،

(1) انظر: ابن سعد، 499/1؛ السهيلي، 1، 248/2.

(2) انظر: ابن سعد، 499/1، وعمران بن أبي أنس، توفي بالمدينة سنة 117هـ، في خلافة هشام بن عبد الملك، وله أحاديث، وثقه ابن حجر، وقد أخرج له البخاري في كتاب الأدب، وذكره ابن حبان في النقائ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ص 272؛ أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق خليل مأمون شيعا وجماعة، ط 1 (بيروت: دار المعرفة، 1417هـ/ 1996م)، 4/376-377 (ت: 6063).

(3) انظر: ابن سعد، 500/1؛ علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية: سيرة الأمين المأمون إنسان العيون (د: م، دار المعرفة، د: ت)، 288/2.

(4) ابن سعد، 499/1.

بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها من جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض، مسقفة بالجريد أيضًا، وكانت حُجُرَاتُهَا أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر⁽¹⁾. ولم يكن سقف البيوت عاليًا. قال الحسن البصري: (ت: 110هـ/728م): كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان، فأتناول سقفها بيدي⁽²⁾. وأحيانًا ينحصر الوصف في الحُجُرَاتِ دون البيوت، إما عن قصد أو عدم تفريق بين معنى كل من البيت والحُجْرة، فقد جاء في رواية لأحد أهل المدينة قوله: رأيت حُجْرَ النبي ﷺ، قبل أن تهدم [مسورة] بجرائد النخل ملبسة الأنطاع⁽³⁾. وجاء في رواية مشابهة قوله: رأيت حُجْرَ أزواج النبي ﷺ، وعليها المسوح، يعني متاع الأعراب⁽⁴⁾.

هذه الصور الشديدة القتامة التي قدمها لنا بعض الرواة عن حُجُرَاتِ بيوت النبي ﷺ وأزواجه، وأنها مجللة بالأنطاع أي: الجلود. ومتاع الأعراب من مسوح الشعر لا تعكس بأي حال الوضع الفعلي لتلك الحُجُرَاتِ أيام حياة الرسول ﷺ وأزواجه، بل صارت إلى ما صارت إليه حين خلت من سُكَّانها وامتدت لها يد الإهمال.

إن الروايات السابقة تقدم صورًا متشابهة وأحيانًا متناقضة عن بيوت النبي ﷺ وحُجُرَاتُهَا، ولعل ذلك يرجع إلى عدم التفريق بين مفهوم البيت ومفهوم الحُجْرة! هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى ربما أن هذا

(1) الشَّهيلي، 1، 248/2؛ محمد بن يوسف الصالح، سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/1992م)، 349/3.

(2) ابن سعد، 1/501؛ وقارن الصالح، 349/3.

(3) ابن سعد، 1/500.

(4) المصدر نفسه، 1/500.

الاضطراب في الوصف يعود إلى الفترات الزمنية المتباعدة التي تمت من خلالها المشاهدة ونقل الصورة.

لكن الأمر الذي لا خلاف عليه هو أن كل بيت من بيوت النبي ﷺ يتكون من وحدتين رئيسيتين تقريباً؛ الوحدة الأولى هي ما يطلق عليه البيت، أما الوحدة الثانية فهي الحُجرة، وهي بالطبع تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية.

وهنا بعض الفروق التي يجب ملاحظتها عند الحديث عن البيت والحُجرة، والعلاقة بين كل من الوحدتين.

البيت والحُجْرة

إن معاجم اللغة لا تسعف الباحث كثيراً في إعطاء التعريف الدقيق لبعض المسميات والتي من بينها بعض مفردات هذا البحث مثل: البيت والحُجْرة، لذلك يبقى تصورهما لا يخلو من الضبابية. فقد جاءت تعريفات البيت والحُجْرة في بعض المعاجم على النحو الآتي:

1 - البيت: قال الأزهرى: «البيت: سُمي بيتاً لأنه يُبَاتُ فيه»⁽¹⁾. والبيت

عند الجوهري: «معروف، والجمع بيوت وأبيات وأبايت»⁽²⁾.

«وبيت الرجل داره، وبيته قصره» كما جاء عند ابن منظور⁽³⁾.

2 - أما الحُجْرة: فهي التي ينزلها الناس، وهي ما حوطوا عليه»⁽⁴⁾.

«والحُجْرة: حظيرة الإبل، ومنه حُجْرة الدار، نقول: احتجرت حُجْرة،

أي: اتخذتها»⁽⁵⁾. والحُجْرة من البيوت: معروفة لمنعها المال، والحِجَارُ

حائطها، والجمع حُجْرات ... والحُجْرة حظيرة الإبل»⁽⁶⁾.

(1) محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: يعقوب عبد الغنى ومراجعة محمد علي النجار (مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د: ت)، 334/14، مادة «بات».

(2) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2 (بيروت: دار العلم للملايين، 1404هـ/ 1984م)، 244/1، مادة «بيت».

(3) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د: ت)، 14/2، مادة «بيت».

(4) الأزهرى، 132/4، مادة «حجر».

(5) الجوهري، 623/2، مادة «حجر».

(6) ابن منظور، 168/4، مادة «حجر».

وهكذا وكما هو واضح فإن التعريفات السابقة لكل من مسمى البيت والحُجْرة لم تقدم تصوراً دقيقاً وشافياً لكلا المصطلحين، بحيث يوضح وظائف كل منهما وما يمكن أن يكون بينهما من فوارق في الاستخدام الوظيفي لكليهما!

لكن ربما أن الشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من التعريفات السابقة، أنها لم تخلط بين المعنيين، أي: أنها لم تقل بأن البيت هو الحُجْرة أو أن الحُجْرة هي البيت: فظل كل مسمى مستقل بمعناه عن الآخر. مما يوحي بأن لكل منهما وظيفة مستقلة.

أما مفهوم الحُجْرة عند طائفة من المفسرين، فقد جاء متشابهاً، وأحياناً لا يتضمن مفهوماً واضحاً، فقد جاء تعريف الحُجْرة عند ابن جرير الطبري (ت: 310هـ/922م): «حُجْرات: جمع حُجْرة، والثلاث: حُجْر، ثم تجمع الحُجْر فيقال: حُجْرات وحُجْرات»⁽¹⁾. ربما أن الطبري معذور في تعريفه المبسّر، للحُجْرة، لأنها في نظره شيء معروف، والمعروف عادة لا يحتاج إلى تعريف.

أما الزمخشري (ت: 583هـ/1187م) فكان تعريفه للحُجْرة أكثر دقة، إذ قال: الحُجْرة: «الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وحظيرة الإبل تسمى الحُجْرة،... والمراد حُجْرات نساء الرسول ﷺ، كان لكل واحدة منهن حُجْرة»⁽²⁾. ويُلاحظ هنا أن الزمخشري عند إشارته لحُجْرات نساء الرسول ﷺ لم يقل أنها بيوت النبي ﷺ أو بيوت نساءه،

(1) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1 (عمان: دار الأعلام، 1423هـ/2002م)، 6/148.

(2) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل (مصر: مطبعة الباي الحلبي، 1385هـ/1966م)، 3/558.

بل إنه شبهها بحظيرة الإبل، ومعلوم أن حظيرة الإبل لا يمكن أن تكون سكناً. وشبيه بما ورد عند الزمخشري عن الحُجْرة، ما جاء عند القرطبي: الحُجْرة: «الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها»⁽¹⁾.

أما أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ/ 1344م) فيظهر أنه استعار ما جاء عند الزمخشري بخصوص تعريف الحُجْرة، فقال: «الحُجْرات: منازل الرسول ﷺ وكانت تسعة، والحُجْرة: الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليه، وحظيرة الإبل تسمى حُجْرة»⁽²⁾.

ومن اللافت للنظر هنا أن أبا حيان لم يفرق بين المنزل أي: البيت والحُجْرة، التي سيتبين فيما بعد أنها من ملاحق البيت! لذلك فقد نظر إلى الحُجْرات على أنها مساكن الرسول ﷺ. وجاء في تفسير البيضاوي (ت: 791هـ/ 1388م) لمعنى الحُجْرة شبيهاً بما ورد عند كل من الزمخشري وأبي حيان الأندلسي، فقد قال: «الحُجْرات: جمع حُجْرة، وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط ... والمراد حُجْرات نساء النبي ﷺ، وفيها كناية عن خلوته بالنساء»⁽³⁾.

ولعل ما يشد الانتباه في هذا التعريف الأخير للحُجْرة هو ما جاء في الجزء الأخير منه وهو قوله: «وفيها كناية عن خلوته بالنساء»، إذ إنه ليس من المناسب أن يخلو الرجل بامرأته أو بنسائه في الحُجْرة، التي شُبِّهت لدى بعض المفسرين وكذلك بعض علماء اللغة بأنها شيء

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 8/ 223.

(2) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وجماعة، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1993م)، 8/ 104.

(3) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مصر: دار الكتب العربية الكبرى، د: ت)، 4/ 87.

شبيه بحظيرة الإبل، ومعلوم أن حظيرة الإبل حيز من الأرض محاط من جوانبه بحاجز ولكن لا سقف لها، وإذا كان الأمر كذلك فإن خصوصية المكان تبقى مفقودة واحتمال الخلوة أمر مشكوك فيه. ولذلك فإن من المشكوك فيه أيضاً أن تكون الحُجْرة، هي المنزل، بل ليس من المستبعد أنها جزء منه، كما سيتبين لاحقاً.

وعلى العموم، فإنه ليس من المستغرب أن يهتم المفسرون بمعنى مسمى الحُجْرة أو الحُجْرات، لأن الأمر يتعلق بسورة من القرآن الكريم، وهي: سورة «الحُجْرات» وعلى وجه الخصوص ما جاء في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾. لذلك فقد بذلوا جهدهم في محاولة تقريب مفهوم الحُجْرة أو الحُجْرات، وقد شاب القصور اجتهاد البعض منهم واختلط عليهم الأمر في التمييز بين كل من البيت والحُجْرة.

وقد أطنب المؤرخون والمفسرون في الحديث عن مناسبة سورة «الحُجْرات» فقد ذكر ابن إسحاق (ت: 151هـ/ 768م) أن هذه السورة نزلت في وفد بني تميم الذي قدم إلى المدينة في السنة التاسعة من الهجرة، حيث دخلوا المسجد، ونادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجْراته، أن اخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم⁽²⁾. ويكاد يتفق جمهور المفسرين مع ما ذكره بعض المؤرخين بخصوص سبب نزول سورة الحُجْرات وأنها متعلقة بوفد بني تميم، فقد

(1) سورة الحجرات، الآية: 4.

(2) انظر: ابن هشام، 4/ 206-207؛ ابن سعد، 1/ 293-295؛ الطبري، تاريخ، 3/ 115 وما بعدها؛ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول (بيروت وصيدا: المكتبة العصرية، 1422هـ/ 2002م)، ص 214.

ذكر الزمخشري، أن وفد بني تميم أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد، فجعلوا ينادونه: يا محمد: اخرج إلينا، فاستيقظ فخرج إليهم⁽¹⁾.

والحقيقة أن السيوطي (ت: 911هـ/ 1505م) يُعَدُّ من أكثر المفسرين تتبعاً لمناسبة نزول سورة الحُجرات. وذكر أكثر من ست روايات متشابهة في بعضها من حيث المضمون وتختلف في ألقها، وقد لا يكون من المفيد سرد كل رواياته، إذ يمكن الرجوع إليها في مظانها، ولكن واحدة من تلك الروايات عن زيد بن أرقم جاء فيها: «اجتمع ناس من العرب فقالوا: انطلقوا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش بجناحه. فأتيت النبي وأخبرته بما قالوا، فجاءوا على حُجْرتِه فجعلوا ينادونه: يا محمد، يا محمد. فأنزل الله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكَ بِأَذُنِكَ مِنْ رَبِّكَ﴾⁽²⁾ فأخذ رسول الله ﷺ بأذني وجعل يقول: «لقد صدَّق الله قولك يا زيد، لقد صدَّق الله قولك يا زيد»⁽³⁾.

ورب سائل يسأل: لماذا جاءت الإشارة في القرآن للحُجْرة بصيغة الجمع؟ ولماذا لم تأت الإشارة إلى البيت؟ وهل كان من المتوقع وفي وقت الظهيرة أن يكون الرسول ﷺ موجوداً في جميع حُجْرات أزواجه وفي آن واحد؟.

(1) الزمخشري، 3/ 558؛ وقارن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (بيروت: المكتب الإسلامي، 107هـ/ 1987م)، 7/ 459؛ البضاوي، 4/ 87؛ جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 (القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1424هـ/ 2003م)، 13/ 542-543.

(2) سورة الحجرات، الآية: 4.

(3) السيوطي، الدر المنثور، 13/ 540؛ وانظر: الطبري، جامع البيان، 25/ 149.

بطبيعة الحال ليس هناك إجابة مؤكدة عن تلك الأسئلة، وقد أجاب بعض المفسرين عن أحدها، أي: لماذا جاءت الإشارة للحُجرة بصيغة الجمع «حُجرات»، فقال الزمخشري: «... ومناداتهم من ورائها [أي: الحُجرات] يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحُجرات متطلبين له، فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حُجرة حُجرة فنادوه من ورائها.. وأنهم نادوه من وراء الحُجرة التي كان فيها ولكنها جُمعت إجلالاً لرسول الله ﷺ»⁽¹⁾. ونجد لدى أبي حيان إجابة شبيهة إذ قال: «... وإذ كانوا جماعة احتمل أن يكونوا تفرقوا، فنادى بعض من وراء هذه الحُجرة، وبعض من وراء هذه، أو نادوه مجتمعين من وراء حُجرة حُجرة أو كانت الحُجرة واحدة، وهي التي كان فيها الرسول ﷺ، وجُمعت إجلالاً له»⁽²⁾.

ومن اللافت كذلك أن البيضاوي لا يختلف كثيراً عن الزمخشري وأبي حيان بخصوص استخدام صيغة الجمع «الحُجرات» فقال: «ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حُجرة حُجرة فنادوا من ورائها، أو بأنهم تفرقوا على الحُجرات متطلبين له، فأسند فعل الأبعاض إلى الكل»⁽³⁾.

أمام هذه الأجوبة المتشابهة تقريباً من لدن بعض المفسرين حول استخدام صيغة الجمع أي: «الحُجرات» وأن ذلك من معاني التعظيم أو بسبب عدم معرفة الوفد في أي الحُجرات كان رسول الله ﷺ، فإنهم فيما يبدو قد جزموا بأن رسول الله كان نائماً في واحدة من حُجرات بيوته، وهذا التصور لا يخلو من إشكال. فلماذا ينام في الحُجرة وهي

(1) الزمخشري، 3/ 558.

(2) أبو حيان الأندلسي، 8/ 108.

(3) البيضاوي، 4/ 87.

المكان المكشوف والشبيه بحظيرة الإبل ويترك البيت؟ ألم يكن للرسول ﷺ بيتٌ بل أكثر من بيت؟ ألم يؤكد القرآن الكريم على أن للنبي بيوتًا وليس بيتًا واحدًا؟ لقد قال الحق تبارك وتعالى موجهاً المؤمنين لآداب إجابة الدعوة النبوية لوليمة أو غيرها بقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ...﴾ (1).

وهكذا فالخطاب هنا يؤكد على بيوت النبي ﷺ ولم يشر إطلاقاً إلى الحُجرات، وربما أن استقبال المدعوين في البيت أكثر ملائمة وأكثر احتراماً من استقبالهم في الحُجْرة. ولكن قد تستخدم الحُجْرة لاستقبال الضيوف في حال الضرورة كما سيتبين لاحقاً. أما لماذا لم يأت الخطاب على ذكر بيوت رسول الله ﷺ كأن يقول: «إن الذين ينادونك من وراء البيوت...؟» فالظاهر أن الأمر لا يخلو من استحالة إذا افترضنا أن الحُجْرة هي بمثابة مقدمة البيت، أو إن شئت فهي أشبه ما تكون بالساحة الخارجية للبيت، ولذلك فهي صدر المسكن أو المنزل، ولهذا فرجال بني تميم وقفوا أمام أسوار البيت، أي: الحُجرات، أو السور الخارجي للمنزل، ونادوا صاحبه؛ -أي: رسول الله ﷺ-. ولا يخفى أن أسوار الحُجرات كانت في غاية التواضع والبساطة، فهي تتألف من جريد النخل مطينة، على أبوابها مسح الشعر (2).

وقد أسهب بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ

(1) سورة الأحزاب، الآية: 53.

(2) ابن سعد، 1/500.

نَظَرِينَ إِنَّهُ... ﴿١﴾ وأطالوا كذلك في مناقشة الروايات المتعلقة بسبب النزول.

وأجمع معظم المفسرين على قبول رواية أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ المتصلة بسبب النزول، إذ إنه كان من شهود الواقعة، أي: مناسبة زواج النبي من زينب بنت جحش، والوليمة التي أقامها ودعى إليها جماعة كبيرة من المؤمنين ^(٢).

إن أشهر روايات أنس عن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش وأكثرها تفصيلاً هما الروايتان الموجودتان عند مسلم في صحيحه، وقد جاءتا على النحو الآتي: عن أنس بن مالك قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون. قال: فأخذ -أي: النبي- كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلمّا قام قام من قام من القوم. زاد عاصم وابن عبد الأعلى في حديثهما قال: فقعد ثلاثة. وإن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس. ثم إنهم قاموا فانطلقوا. قال: فجنّت فأخبرت النبي أنهم قد أنطلقوا. قال: فجاء حتى دخل. فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه. قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ...﴾؛ إلى قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ^(٣).

(1) سورة الأحزاب، الآية: 53.

(2) مسلم، 2/ 1050-1051 (ح: 93، 94)؛ وانظر: الطبري، جامع البيان ...، 22/ 47 - 48؛ ابن الجوزي، زاد المسير، 6/ 412 - 415؛ محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط2 (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1387هـ/ 1968م)، 3/ 1561-1562؛ القرطبي، 7/ 165-166؛ أبو حيان الأندلسي، 7/ 236-237؛ السيوطي، الدر المنثور، 12/ 105-108؛ النيسابوري، ص197.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 53، مسلم، 2/ 1050 (كتاب النكاح، ح: 93)؛ وقارن البخاري، الصحيح، ص1020-1021 (ح: 4791، 4792، 4793، 4794)، والحيس: نوع من الطعام =

هذه واحدة من روايات أنس حول زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، وعلاقة ذلك بنزول آية الحجاب، والرواية في الوقت نفسه تتضمن أن الزواج حدث في أحد بيوت النبي وهو في هذه الحالة بيت زينب، والملحوظ أنه لم تأت الإشارة هنا إلى الحُجرات؛ وهذا مفهوم لأنه وكما سلف فإن البيت غير الحُجرة.

وفي الوقت نفسه فإنه يوجد لدى أنس رواية أخرى بخصوص مناسبة الزواج أكثر تفصيلاً، ولو أنها لا تذكر زينب بالاسم، إلا أن اقتران سبب نزول آية الحجاب بمناسبة الزواج يؤكد على أن من دخل بها رسول الله ﷺ هي زينب بنت جحش؛ عن أنس بن مالك. قال: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله. قال: فصنعت أُمي أم سليم حيساً فجعلته في تور⁽¹⁾. فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ. فقل بعثت بهذا إليك أُمي. وهي تُقرئك السلام. وتقول: إن هذا لك منا قليل، يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ. فقلت: إن أُمي تُقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل، يا رسول الله! فقال: «ضعه» ثم قال: «اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً ومن لقيت» وسمي رجالاً. قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عددكم كانوا؟ -أي: كم كان عددهم- قال: زهاء ثلاث مئة. وقال لي رسول الله ﷺ: «يا أنس! هات التور» قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة⁽²⁾ والحُجرة، فقال رسول الله ﷺ: «ليتحلق عشرة عشرة وليأكل

يتكون غالباً من الإقط والتمر والسمن بعد عجنها مع بعضها البعض.

(1) التور: «هو إناء من صفر أو حجارة كالإجانة...» ابن منظور، 96/4، مادة «تور».

(2) الصفة: قال الليث: الصفة من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السمك... والصفة الظلة. والصفة: موضع مظلل من المسجد النبوي، كان يأوي إليه فقراء المهاجرين ومن لم يكن له أهل بالمدينة. انظر: ابن منظور، 195/9، مادة «صف».

كل إنسان مما يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا. قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم. فقال لي «يا أنس! ارفع» قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت! قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس، وزوجته مولىة وجهها إلى الحائط. فثقلوا على رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نساءه. ثم رجع. فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه. قال: فابتدروا الباب فخرجوا كلهم. وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل. وأنا جالس في الحُجرة. فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ. وأنزلت هذه الآية -أي: آية الحجاب- (1).

هذه الرواية تبين لنا أن البيت الذي تم فيه الزواج وأقيمت فيه وليمة العُرس يتألف من ثلاث وحدات وهي: البيت والصفّة والحُجرة، وأن بعض الضيوف من المدعوين كانوا جلوساً مع رسول الله في البيت ومعهم زوجته زينت، وكانت مولىة وجهها للحائط حياءً من ضيوف رسول الله؛ فلو كان في البيت مرافق أخرى لما اضطرت زينب لأن تحشر نفسها بين المدعوين، وقد ذهب أحد الدارسين المحدثين إلى أن الصفّة التي ضمت بعض المدعوين وجاءت الإشارة إليها في رواية أنس، أنها صفّة فقراء المسلمين الملحقة في مؤخر المسجد (2). وهذا تصور بعيد الاحتمال؛ فلو كان الأمر كذلك لقال أنس، إن بعض المدعوين كانوا في

(1) مسلم، 2/ 1051 (كتاب النكاح، ح: 94). وقارن جعفر بن محمد الفريابي، دلائل النبوة، ومعه المستخرج على دلائل النبوة، إشراف وتخريج محمود بن محمد الحداد وأم عبد الله بنت محروس السلي (الرياض: دار طيبة للنشر، د: ت)، ص 25؛ القرطبي، 7/ 165.

(2) انظر: أكرم ضياء العمرى، السيرة النبوية الصحيحة، ط 1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/ 1995م)، 1/ 258.

صُفَّة المسجد، وأحسب أنه ليس هناك ما يمنع أن يشتمل البيت على صُفَّة يستظل بها سكان البيت في بعض الأوقات، وواقعة ضمن حُجْرة البيت.

وقال أحد الباحثين وهو يتحدث عن بيوت النبي ﷺ: «وإنما بنى بيوتًا متواضعة باللبن والجريد ... وكان كل منها عبارة عن حُجْرة وصالة مدخل صغير أبوابها شارعة في المسجد»⁽¹⁾. وهذا قول يفتقر للدقة إذ إنه أغفل البيوت التي ذكرها القرآن الكريم وجعل بدلًا من البيت حُجْرة، وأضاف إلى الحُجْرة «صالة» ونعتها بأنها عبارة عن مدخل صغير. وزعم كذلك أن أبواب الحُجْرات شارعة في المسجد، وهذا مناقض لما هو معروف عن انتشار بيوت الرسول ﷺ وحُجْراتها حول المسجد⁽²⁾.

لذلك ووفقًا لرواية أنس الأخيرة فإن بيت زينب بنت جحش يتألف من البيت وهو الوحدة السكنية الرئيسة، ولا بد أنه بناء مستقوف محاط بأربعة جدران شبيه بما يعرف الآن «بالغرفة»، وأنه ملحق به وحدتان ثانويتان هما: الحُجْرة والصُفَّة.

وهكذا فالحُجْرة إذاً ليست المكان المناسب لخلوة الزوجين فكان البيت هو المكان الأنسب لتوافر دواعي الخصوصية، ولذلك فقد بقي أنس في الحُجْرة خارج ما يُعرف بالبيت.

ومن الإشكالات التي تُلاحظ في رواية أنس عدد من حضروا الوليمة وهم زهاء ثلاث مئة. ولا بد أن في ضخامة العدد مثارًا للتساؤل عن

(1) عبد الغني، ص 21.

(2) انظر: عبد الغني، المرجع السابق، ص 21، ومما يشكر للباحث قيامه بتصميم وجمع رسومات كثيرة مقترحة لمواقع حجرات الرسول ﷺ، وبيوت الصحابة حول المسجد النبوي، انظر: الصفحات: 88، 108، 126، 178، 180.

الطاقة الاستيعابية لمسكن صغير الحجم مثل مسكن زينب؟، ولعل ما يقوي الشك في ذلك؛ الرواية الثانية لأنس التي تقدر عدد الحاضرين ما بين واحد وسبعين، واثنين وسبعين رجلاً⁽¹⁾.

ويظهر أن الرواية الأخيرة لأنس هي الأرجح أخذًا بالاعتبار صغر مساحة المكان والقدر القليل من طعام الوليمة، الذي تضاربت روايات أنس بشأنه⁽²⁾.

ومهما يكن من أمر فإن رواية أنس عند مسلم وخاصة منها ما يتصل بالبيت ومرافقه: البيت والحُجْرة والصفّة ربما تعطي الباحث تصورًا عما كانت تتألف منه بيوت رسول الله ﷺ وُحُجْرَاتُهَا من الناحية المادية. وسيتناول الحديث التالي بيت عائشة بنت أبي بكر باعتباره النموذج الأمثل لما كانت عليه بقية بيوت رسول الله ﷺ من حيث البناء والأثاث وأسلوب العيش فيه.

(1) انظر: ابن سعد، 8/ 104 - 105.

(2) روايات الوليمة لا تخلو من إشكال، فقد ذكر البخاري روايتين عن أنس ذكر فيهما أن الوليمة كانت خبزًا ولحمًا. البخاري، الصحيح، ص 1020 - 1021، (ح: 4793 - 4794)؛ وذكر البلاذري، أن رسول الله ﷺ في زواجه من زينب أولم بشاة، 1/ 434 - 435؛ وجاء في إحدى روايات أنس عن مسلم، أن أم سليم صنعت خيسًا فجعلته في تور وأرسلت به هدية لرسول الله ﷺ وزوجه بمناسبة زواجهما. مسلم، 2/ 1051 (كتاب النكاح، ح: 94)؛ ابن سعد، 8/ 104 - 105. وفي رواية أخرى لأنس عند مسلم جاء فيها قوله: «ما رأيت رسول الله ﷺ أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب فإنه ذبح شاة». مسلم، 2/ 1049، (كتاب النكاح، ح: 90) ولعل ما يتعارض مع كل ما سبق من روايات أنس حول وليمة عرس زينب، روايته لدى الطبري حول المناسبة عنيها إذ قال: «أولم النبي ﷺ عليها بتمر وسويق» انظر: الطبري، جامع البيان، 22/ 48. بناءً على ما تم عرضه من روايات بخصوص وليمة الزواج؛ فإنه يرجح لدى الباحث أن الرسول ﷺ ذبح شاة بمناسبة زواجه من زينب، سيما وأنه زواج تم بأمر من السماء والسفير فيه جبريل. انظر: محمد بن فارس الجعفي، أزواج النبي ﷺ: عرض ونقد للروايات. ط 1 (بيروت: جداول، 2014م)، ص 105 - 127 (122 - 123).

بيت عائشة «أنموذجاً»⁽¹⁾

أُختير بيت عائشة أنموذجاً لما كانت عليه بيوت النبي ﷺ لأسباب موضوعية، فمن المعلوم أن عائشة بنت أبي بكر هي من أحب أزواجه إليه، وهي كذلك التي أمضى في بيتها أيامه الأخيرة، تمرضه وتسهر على راحته، ولأن بيتها كذلك هو البيت الذي توفي فيه، وفيه دفن، وأخيراً فإن بيت عائشة هو البيت الذي لا يزال جزءاً كبيراً منه معروف حتى اليوم حيث يضم قبر الرسول ﷺ وقبري صاحبيه الكريمين.

إنه مما لا خلاف فيه أن أول بيتين بنيا لرسول الله ﷺ في المدينة وتحت إشرافه المباشر هما بيتا زوجتيه، سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر، قالت عائشة: «وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي هذا الذي أنا فيه، وهو الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ... وبني رسول الله ﷺ بسودة في

(1) انظر: الملحق رقم (4) ص 114 وهو عبارة عن رسم تخيلي لبيت عائشة بنت أبي بكر، والهدف من ذلك إظهار العلاقة بين البيت والحُجرة وبقيّة المرافق الأخرى كالمشربة مثلاً. وجاء عند أحد الدارسين في وصفه لبيوت النبي ﷺ قوله: «وكل بيت عبارة عن مربع يبلغ طول ضلعه (8-9 أذرع/ 4.00 - 4.5 متراً)، ... وبه من الداخل حجرة طول ضلعها (6-7 أذرع/ 3.00 - 3.50 متراً)، صنعت حوائطها من أكسية من الشعر مربوطة في خشب عرعر (السرو)، أي: أن كل بيت له صالة مدخل صغيرة قبل الحُجرة، وكانت أبواب البيوت يحاططها الغربي شارعة في المسجد» انظر: صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة: تطورهما العمراني وتراثهما المعماري (بيروت: دار النهضة العربية، 1981م)، ص 57. من الواضح أن هذا الوصف يتناقض تماماً مع ما جاء في هذه الدراسة وفيه خلط ظاهري بين البيت والحُجرة، وكذلك الصالة التي أشار إليها الباحث.

أحد تلك البيوت التي إلى جنبي...»⁽¹⁾. وقد بنى البيتين باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد⁽²⁾.

حدود بيت عائشة :

قبل الدخول في مناقشة الروايات والأخبار المتصلة ببيت عائشة، الذي عاش فيه النبي ﷺ أيامه الأخيرة ولفظ فيه أنفاسه الطاهرة، يجدر بنا أن نذكر حدود البيت من حيث الجهات وبالنسبة لما يجاوره من المنازل والطرق، وقد قام أحد الدارسين المحدثين بتعيين حدود البيت بناءً على ما قدمته بعض المصادر من معلومات قيمة بهذا الخصوص، وهذه الحدود كما أوردها علي حافظ كالآتي:

«من الشمال: يتصل بعضه بدار السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ... ويتصل أيضاً من شام بالطريق حيث كان للبيت باب من هذه الجهة.

من الجنوب: «القبلة» طريق يفصل بين بيت حفصة بنت عمر ... وبين الحُجْرة الشريفة [البيت] .. وتقع دار حفصة في موقع زائر النبي ﷺ الآن داخل مقصورة الحُجْرة [البيت] وخارجها.

من الشرق: الموضع المعروف بمحل مصلى الجنائز الذي كان ﷺ يُصلي على الجنائز فيه، ويقع الآن داخل الشباك الشرقي بالنسبة للحجرة [البيت] المطهرة.

من الغرب: المسجد النبوي وكان ﷺ يكشف سجف باب البيت [الحُجْرة]، وينظر للمسجد»⁽³⁾ - أي: ينظر إلى المصلين في المسجد-.

(1) ابن سعد، 63/8.

(2) المصدر نفسه، 1/239-240.

(3) علي حافظ، ص 115 - 117.

هذا الوصف المفصل لتحديد موقع بيت عائشة يضع القارئ أمام تصور واضح عن ذلك البيت وعلاقته بالمسجد وما يجاوره من بيوت وطرق، وربما يُلاحظ هنا أن علي حافظ يشير في وصفه إلى الحُجرة وهو يقصد البيت بطبيعة الحال، لذلك فقد وضعت كلمة البيت بين معقوفتين حتى لا يلتبس الأمر على القارئ.

إن المعلومات المتناثرة عند ابن سعد عن بيوت أزواج رسول الله ﷺ لا تساعد على تقديم صورة متكاملة عما كانت عليه تلك البيوت من حيث المرافق، وقد أمكن تلافِي هذا القصور بما لدى مصادر الحديث النبوي الشريف، إذ إنها تقدم مادة لا بأس بها عن مرافق تلك البيوت في سياق إشاراتٍ إلى بعض الشعائر الدينية كالاعتكاف، أو الصيام، أو المناسبات الاجتماعية كالزواج مثلاً أو أفراح الأعياد.

والمعروف أن بيت عائشة يتألف من جزئين رئيسيين هما: البيت والحُجرة، إذ إنه طالما تكررت الإشارة لهما. وبيت عائشة له باب بمصراع واحد، مصنوع من خشب العرعر أو الساج⁽¹⁾. وكان الباب يواجه الجهة الشمالية⁽²⁾. وفي حكم المؤكد أن بيت عائشة له باب آخر يفتح مباشرة من الحُجرة إلى المسجد أي: في الجهة الغربية من البيت، فقد جاء عن عائشة أنها كانت تخرج رأس رسول الله ﷺ

(1) ابن زبالة، ص 93-94؛ ابن النجار، الدرّة الثمينة، ص 175. والساج نوع من الخشب الجيد يأتي من الهند.

(2) ابن زبالة، ص 94. ليس من المستبعد أن باب بيت عائشة وليس حُجرتها له باب من عرعر وأنه يقع في الجهة الشمالية، ولكن من المستبعد كذلك أن يكون قد ظل حتى القرن الثاني من الهجرة، إذا ما علم أن ابن زبالة توفي سنة 199 هـ وأن بيت عائشة قد ضم إلى المسجد في سنة (88-87هـ).

وهي حائض وهو معتكف في المسجد فيناولها رأسه وهي في حُجرتها⁽¹⁾.

ولعل ما يؤكد ذلك ما رواه ابن سعد أنه لما قبض النبي ﷺ، قالوا: كيف نصلي عليه؟ قالوا: ادخلوا من هذا الباب أرسالاً، فصلوا عليه، واخرجوا من الباب الآخر⁽²⁾.

وباب الحُجرة الذي سبقت الإشارة إليه والشارع في المسجد هو الباب الذي ألقى من خلاله رسول الله ﷺ نظرة الوداع على أصحابه وهم في صلاة الفجر، إذ جاء في رواية عن أنس قوله: «حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحُجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً ... ثم دخل فأرخى الستر، وتوفي من يومه ذلك»⁽³⁾. ومن خلال باب حُجرة عائشة هذا كانت عائشة تنظر إلى الحُبشة [أي: الأحباش] وهم يلعبون في المسجد في إحدى المناسبات، ورسول الله ﷺ يسترها بردائه⁽⁴⁾.

ويظهر أن جدار الحُجرة كان قصيراً بحيث لا يكف أبصار الناس،

(1) أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، ط2 (بيروت: دار البشائر، 1409هـ/1988م)، 1/ 193 (كتاب الحيض، ج: 20، 21)؛ وانظر: ابن حنبل، 86/6، ذكر رواية لعائشة في هذا الموضع قالت فيها: كان رسول الله ﷺ يأتيني وهو معتكف في المسجد حتى يتكى على باب حجرتي، فأغسل رأسه وأنا في حجرتي وسائر جسده في المسجد.

(2) ابن سعد، 2/ 289.

(3) البخاري، الصحيح، ص 136 (ج: 680)؛ مسلم، 1/ 315 (ج: 419)؛ وانظر: ابن هشام حيث جاءت عنده الرواية مختلفة عما في الصحيحين وهي لا تخلو من اضطراب؛ ابن هشام، 310/4.

(4) البخاري، الصحيح، ص 97 (ج: 454)، ص 188 (ج: 950).

إذ رأى بعض الصحابة رسول الله ﷺ وهو يصلي في طائفة من الليل في حُجْرته، فأخذوا يصلون بصلاته⁽¹⁾. وحتى جدار الحُجْرة قد لا يكون محكماً بما فيه الكفاية لكي يرد أبصار الناس، ولا غرابة في ذلك إذ كانت مادة الجدار من جريد النخل وسعفه، لذلك نجد أن أم سلمة تبني حُجْرتهما باللبن، ولما سألها رسول الله ﷺ عن سبب ذلك، قالت: «يا رسول الله، أردت أن أكف أبصار الناس»⁽²⁾. ولا بد أن حُجْرة بيت عائشة كانت ذات حجم من السعة مقبول، فقد رأت جبريل عليه السلام واقفاً في حُجْرتهما على فرس ورسول الله ﷺ يناجيه⁽³⁾.

أما الجزء الرئيس من المسكن فهو ما يعرف بـ «البيت» وليس في مصادر البحث من المعلومات الدقيقة ما يمكن الاطمئنان إليه بهذا الشأن، إذ إن ما تقدمه تلك المصادر معلومات شحيحة ولا تكاد تساعد على تقديم صورة مقنعة عن بيت النبي ﷺ وزوجه عائشة. وعلى الرغم من ذلك فلا بأس بمحاولة تقديم الصورة التقريبية لذلك البيت الذي شهد الأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ ودفن فيه وظل مهوى أفئدة المسلمين للظفر بزيارته.

جاء عند البخاري عن داود بن قيس⁽⁴⁾، أنه قال: «رأيت الحُجْرات

(1) المصدر نفسه، ص 146 (ح: 729)؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 2/ 272 - 273 (ح: 729).

(2) ابن سعد، 1/ 299.

(3) المصدر نفسه، 8/ 67.

(4) هو داود بن قيس الفراء، ويقال له الدِّبَاغ كذلك. يكنى أبا سليمان، مولى لقريش مات بالمدينة في خلافة أبي جعفر المنصور، وكان ثقة وله أحاديث صالحة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ص 404 - 406؛ ابن حجر العسقلاني (ت: 2131)، تهذيب التهذيب، 2/ 122.

من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحُجرة إلى باب البيت نحوًا من ست أو سبع أذرع وأحزر البيت الداخل عشر أذرع: وأظن سمكه ما بين الثمان والسبع نحو ذلك ووقفت عند باب عائشة، فإذا هو مستقبل المغرب⁽¹⁾. ليس من المستبعد أن هذا الوصف يتعلق ببيت عائشة وهو لا يقدم صورة دقيقة عن البيت سوى الإشارة إلى أن له باب يقع في الجهة الغربية، وربما أن المقصود بذلك باب الحُجرة الذي يدلف منه الرسول ﷺ إلى المسجد. ومعلوم أن باب الحُجرة النافذ إلى المسجد قد تم سدّه مجرد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى⁽²⁾ - وعمومًا فإن هذا الباب الذي يدعوه داود بن قيس «باب عائشة، هو في حقيقة الأمر ليس باب بيت عائشة بل هو باب حُجرة بيت عائشة، وهو الباب الذي يدخل منه النبي ﷺ إلى المسجد. أما مقاييس عرض البيت من باب الحُجرة إلى باب البيت وكذلك عمق البيت من الداخل الذي قُدِرَ بنحو سبعة أذرع، فلا يعطى تصورًا واضحًا ودقيقًا عن المساحة الكلية للبيت.

ولعل اللافت في الوصف السابق هو ارتفاع سقف البيت الذي قُدِرَ بنحو ثمانية أو سبعة أذرع، إذ إن ذلك يتراوح ما بين أربعة أمتار أو ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبًا، وهذا تقدير لا يخلو من مبالغة إذ جاء عن الحسن البصري (ت: 110هـ/728م) قوله: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان (24-35هـ/644-655م) فأتناول

(1) البخاري، الأدب المفرد، تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، ط4 (الجيل: دار الدليل الأثرية، 1429هـ/2008م)، ص163 (ح: 415) نقلت النص كما جاء في الأدب المفرد دون تدخل لتصويب بعض الأخطاء الواضحة للقارئ.

(2) انظر: البخاري، الصحيح، ص99 (ح: 466).

سقفها بيدي»⁽¹⁾. ولعل ما يؤيد ذلك هو أن سقف مسجد النبي ﷺ لم يكن بذلك العلو الشاهق إذ قال لأصحابه: «ابنوه عريشاً كعريش موسى» قال: فقلت للحسن ما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يديه بلغ العرش؛ يعني السقف⁽²⁾. والمقصود بموسى المشار إليه هنا هو نبي الله موسى عليه السلام.

جاء في وصف نادر لبيت عائشة ذكره ابن زبالة بسنده عن محمد بن هلال وعن غير واحد من أهل العلم: «أن بيت رسول الله ﷺ الذي فيه قبره، وهو بيت عائشة الذي كانت تسكن فيه، أنه مربع مبني بحجارة سود وقصة [الجص]، الذي يلي القبلة منه أطول، والشرقي والغربي سواء والشامي أنقصها، وباب البيت مما يلي الشام، وهو مسدود بحجارة سود وقصة»⁽³⁾.

هذا الوصف على طرافته لم يعط صورة واضحة عن مساحة البيت إذ إنه أشار فقط إلى اختلاف أطوال بعض أضلعه، ولم يشر إلى الباب الغربي لأنه باب الحُجرة الذي كان يخرج منه النبي ﷺ إلى المسجد، وقد انتفت الحاجة لوجوده بعد وفاة الرسول لقوله ﷺ: «في مرض الوفاة: لا ييقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»⁽⁴⁾.

ومما يُلحظ على الوصف السابق كذلك هو مادة بناء البيت إذ إنه مبني

(1) ابن سعد، 1/ 501؛ وانظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، 1417هـ/ 1997م)، 4/ 545، وذكر ابن كثير في هذا الموضع أن الحسن بن أبي الحسن البصري كان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة؛ السهمودي، وفاء، 2/ 298.

(2) ابن كثير، 4/ 532، وقال ابن كثير عن هذا الخبر أنه مرسل.

(3) ابن زبالة، ص 95، وهذا الوصف بطبيعة الحال لا ينطبق على بيت عائشة أيام حياة الرسول ﷺ بل هو وصف لما آل إليه حال البيت بعد وفاتها.

(4) البخاري، الصحيح، ص 199 (ح: 466).

من الحجارة السود والجص أي: -القصة- وهذا مخالف لما عُرف عن مادة بناء بيوته ﷺ التي كانت مبنية باللبن وحُجُرَاتُها من جريد النخل⁽¹⁾. وإذا كانت المعلومة التي ذكرها محمد بن هلال دقيقة، فمن المؤكد أن هذا البيت مدار الحديث قد طرأ عليه تعديلات جوهرية دعت إلى بناءه بالحجارة والجص وذلك بعد وفاة عائشة. وفي خلال ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة.

وكذلك الأمر بالنسبة للروايات المتعارضة حول الجهة التي يقع فيها باب بيت عائشة، حيث جاء في رواية داود بن قيس السابقة أن باب البيت مستقبل المغرب؛ بينما ذكر محمد بن هلال أن باب البيت يقع في الجهة الشمالية ولا بد أن الأمر لا يخلو من إشكال، إذ إنه يفهم من رواية داود بن قيس أنه شاهد بيوت أزواج النبي ﷺ وحُجُرَاتُها قبل هدمها وإدخالها في المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك؛ وهذا أمر غير مستبعد إذا ما عُلم أن وفاة داود بن قيس كانت في خلافة أبي جعفر المنصور (136-158هـ / 753-774م) أما محمد بن هلال فقد توفى في سنة (ت: 162هـ / 778م) وهو يتحدث عن بيت عائشة بعد إلحاقه بالمسجد. وهذا الباب المسدود الذي ذكره في روايته والواقع في الجهة الشمالية للبيت، هو باب مُحدَث وليس بالضرورة أنه يدل على وضعه الطبيعي في أيام الرسول ﷺ.

إن مما يؤكد أن بيت عائشة لم يكن له سوى باب واحد لا أكثر هو ما ذكره ابن زَبالة⁽²⁾. ولكن لعل ما يثير التساؤل ما رواه ابن سعد أنه لما

(1) ابن سعد، 1/ 499.

(2) ابن زَبالة، ص 94؛ ابن النجار، ص 175.

قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، قالوا: كيف نصلي عليه؟ قالوا: ادخلوا من هذا الباب أرسالاً، فصلوا عليه، واخرجوا من الباب الآخر⁽¹⁾.

السؤال هنا ما المقصود بالباب الآخر؟ من المفهوم أنهم -أي: المصلين- يدخلون من باب الحُجْرَة الذي يفتح على المسجد ثم يدخلون من باب البيت، ولكن ما الباب الآخر الذي يخرجوا منه؟ كأن الرواية توحي أن للبيت الذي مسجى فيه الجسد الطاهر بابان، فيدخل الناس من هذا الباب للصلاة على النبي ﷺ ويخرجوا من الباب الآخر وهذا تصور لا يخلو من صعوبة إذا وضع في الاعتبار مساحة البيت نفسه التي تقل عن سبعة عشر متراً مربعاً. ثم إن روايات صلاة المسلمين على الجسد الشريف لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أن للبيت أكثر من باب!.

قالوا: «لما وضع رسول الله ﷺ على سريره، دخل أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سلم أبو بكر وعمر وصفوا صفوفاً لا يؤمهم عليه أحد، وكان أبو بكر وعمر في الصف الأول...»⁽²⁾.

«فكان يدخل الناس رسلاً رسلاً -أي: جماعات، جماعات- فيصلون عليه صفّاً صفّاً ليس لهم إمام»⁽³⁾. وقالت إحدى الصحابيات: «كنت في من دخل على النبي ﷺ وهو مُسجى على سريره، فكنّا صفوفاً نساءً نقوم فندعو ونصلي عليه...»⁽⁴⁾.

(1) ابن سعد، 2/ 289.

(2) المصدر نفسه، 2/ 290.

(3) المصدر نفسه، 2/ 291.

(4) المصدر نفسه، 2/ 290.

وهكذا ليس في كل ما تقدم من روايات ما يدل على أن لبیت النبي ﷺ أي: -بيت عائشة- سوى باب واحد. ولعل ما يؤكد ذلك هو ما ورد في أحد المصادر من وصف لباب بيت عائشة. وهو أنه: بمصراع واحد مصنوع من خشب العرعر أو الساج. ولو كان للبيت باب آخر لأشار الراوي إلى صفته. والروايات السابقة كذلك لم تشر إلى أن المصلين كانوا يخرجون من الباب الآخر بعد الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام. ولعل ما يجلو هذا الإشكال هو أن المصلين يذلفون من باب الحُجْرَةِ الالافظ من المسجد، ثم يدخلون البيت فيصلون على النبي ثم يخرجون من الباب الشمالي لحُجْرَةِ البيت؛ وللخروج من هذه الإشكالية لا بد من الافتراض أن لحُجْرَةِ بيت عائشة بابان: الباب الغربي الذي يدخل منه الرسول ﷺ إلى المسجد، والباب الثاني للحُجْرَةِ هو الباب الشمالي الذي ربما أنه كان المدخل الرئيس للبيت.

وعودًا إلى محاولة تقدير مساحة بيت عائشة، وكما سبقت الإشارة فإنه لا يوجد تقدير دقيق يمكن الاطمئنان إليه، ولكن يمكن الاسترشاد ببعض الإشارات التي قد تساعد على تقديم تصور مقبول عن ذلك البيت.

قالت عائشة: «كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتهما... والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح»⁽¹⁾.

وفي مناسبة أخرى قالت عائشة: «لقد رأيت النبي ﷺ يصلي وإني لبينه وبين القبلة وأنا مضطجعة على السرير...»⁽²⁾.

(1) البخاري، الصحيح، ص 107 (ح: 513).

(2) المصدر نفسه، ص 107 (ح: 511).

الروایتان السابقتان تشيران إلى صلاة النبي ﷺ صلاة التطوع في بيته إحداهما كانت تشير إلى صلاته في الليل إذ تذكر الرواية أنه ليس لديهم مصابيح، والأخرى لم تذكر شيئاً عن وقت صلاة التطوع، والمهم في أمر هاتين الروایتين أنهما تشيران إلى ضيق المكان الذي يبيت فيه رسول الله ﷺ وزوجه، إذ إنه بالكاد يتسع لنام زوجين ويضيق بهما إن رافق ذلك نشاط آخر كالصلاة ونحوها.

ولكن لا بأس من الافتراض أنه قد خُصص جزء من البيت للنوم وجزء آخر لممارسة الحياة اليومية؛ لا بد من هذا الافتراض حتى يستقيم الأمر مع رواية أخرى لعائشة؛ قالت: «صلى رسول الله ﷺ في بيته وهو جالس، فصلى وراءه قوم قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا»⁽¹⁾. هذه الرواية تكشف أن في بيت الرسول ﷺ متسعاً لعدد من المصلين، ربما كانوا في عيادة له وهو مريض، لذلك اضطر أن يصلي بهم جالساً ولم تفصح الرواية عن عدد أولئك القوم. وفي رواية لأم الفضل بنت الحارث⁽²⁾، قالت: «صلى بنا رسول الله ﷺ في بيته صلاة المغرب، فقرأ المرسلات، ما صلى بعدها حتى قبض»⁽³⁾. هذه الرواية تشير كذلك إلى صلاة الرسول ﷺ في فترة مرضه الذي توفي فيه، واللافت فيها أن أم الفضل كانت في جماعة من صلوا خلف رسول الله ﷺ في بيته، ولم يتبين منها إن كانت جماعة المصلين رجالاً ونساء أم نساء لا غير؟ وما عدتهم؟ لكن كلتا الروایتين توحيان أن في البيت سعة

(1) البخاري، الصحيح، ص 139 (ح: 688)؛ أبو داود، 1/ 221 (ح: 605).

(2) أم الفضل، هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية وزوج العباس بن عبد المطلب، وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. توفيت أم الفضل في أيام الخليفة عثمان بن عفان، انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 6/ 559.

(3) النسائي، 2/ 168 (ح: 64).

لاستقبال الزائرين والصلاة بهم. أما ما مقدار سعة البيت فهذا أمر يصعب التحقق منه إلا بالقياس الدقيق مع الأخذ بعين الاعتبار أن بيت النبي ﷺ وزوجه عائشة قد تعرض في فترات زمنية متقاربة إلى بعض التعديلات التي لا شك أنها غيرت من صورته الأولى، ولعل أول هذه التعديلات، ما قامت به عائشة نفسها عندما دُفن جثمان الخليفة عمر بن الخطاب (ت: 23هـ/643م) إلى جوار صاحبيه الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق، إذ قُسم بيت عائشة إلى قسمين: قسم كان فيه قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه، وقسم كانت فيه عائشة وبينهما حائط⁽¹⁾.

كذلك فإن بيت النبي ﷺ لم يكن له في أيامه حائط، فكان عمر بن الخطاب أول من بنى عليه جداراً. وكان الجدار قصيراً ثم بناه عبد الله بن الزبير (ت: 73هـ/692م) وزاد فيه⁽²⁾. وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (ت: 96هـ/714م) تمّ هدم بيوت أزواج النبي ﷺ وحُجراتها من أجل توسعة المسجد النبوي، وأبقى على بيت النبي ﷺ الذي يضم جسده الطاهر ورفات صاحبيه داخل المسجد، وذلك في أيام ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة وتحت إشرافه. جاء عند السمهودي بسنده، قال: «لم يزل بيت النبي ﷺ الذي دفن فيه هو وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحِطَار»⁽³⁾. المزور، الذي هو عليه اليوم حين بُني المسجد في خلافة الوليد بن

(1) ابن سعد، 2/ 294.

(2) ابن سعد، 2/ 294؛ السمهودي، وفاء، 2/ 301-302.

(3) الحِطَار: الحائط .. وكل ما حال بينك وبين شيء، فهو حِطَار وحِطَار. وكل شيء حجر بين شيئين فهو حِطَار وحِجَار. ابن منظور، 4/ 203، مادة «حِطَر».

عبدالملك، وإنما جعله مزورًا كراهة أن يشبه تربيعة الكعبة، وأن يُتخذ قبلة فيصل إلى «إليه»⁽¹⁾.

وفي فترة لاحقة أي: في أواخر القرن التاسع الهجري قام السهمودي بأخذ قياس لمساحة البيت النبوي الذي يضم القبور الثلاثة والذي يدعوه السهمودي بـ «الحُجْرَةُ الشريفة» فقال: «... وقد ذرعت الحُجْرَةُ الشريفة من داخلها بجريدة طويلة، فكان ذرع مقدمها الذي يلي القبلة من المغرب والمشرق عشر أذرع وثلاثي ذراع وذرع - ومؤخرها ما يلي الشام إحدى عشرة ذراعًا وربع وسُدس، وذرع عرضها من القبلة إلى الشام في كل من جانبها الغربي والشرقي سبع أذرع ونصف وثمان، وهي قريب من الذرع، الذي ذكره ابن شبة...»⁽²⁾.

وعلى الرغم من أن السهمودي قد استخدم وحدة قياس معروفة وهو الذراع إلا أنه يصعب تقدير مساحة البيت نظرًا لاختلاف أطوال أضلاعه.

وبناءً على هذه الأطوال لبيت النبي ﷺ التي حررها السهمودي، فقد قام علي حافظ بمحاولة تقريبها للفهم، وذلك بأن استخدم وحدة القياس المعروفة في الوقت الحاضر وهي «المتر» معتبرًا الذراع يساوي من حيث الطول «0.45 سم» وجاءت أطوال أضلاع البيت على النحو التالي:

- طول جدار الحُجْرَةِ الشمالي: 11 ذراعًا وربع وسُدس ذراع
 $0.45 \times 5.25 = 5.25 \text{ م}$

(1) السهمودي، وفاء، 2/ 302.

(2) السهمودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: علي عمر، ط1 (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1427هـ/ 2006م)، 1/ 327. هذا هو النص الذي ذكره السهمودي في كتابه «خلاصة الوفا» لم أشأ أن أتدخل بتقويم النص في جانبه اللغوي على ما فيه.

- طول جدار الحُجْرة الجنوبي: 10 أذرع وثلاث ذراع $\times 0.45$ سم = 4.80م
- عرض جدار الحُجْرة الغربي: 7 أذرع ونصف وثمان $\times 0.45$ سم = 3.43م
- عرض جدار الحُجْرة الشرقي: يساوي الجدار الغربي $\times 0.45$ سم = 3.43م⁽¹⁾

وهذا يعني بلغة الأرقام أن المساحة الكلية التقريبية للبيت النبوي كانت في حدود سبعة عشر مترًا مربعًا ونصف المتر تقريبًا «17.50م»، أي: ما يساوي مساحة غرفة متوسطة الحجم في منازلنا في الوقت الحاضر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن علي حافظ حرر القياسات المدونة أعلاه دون محاولة لإيجاد المساحة الإجمالية للبيت الذي يدعوه [الحُجْرة] وعند المحاولة لإيجاد المساحة الكلية للبيت كانت النتيجة كما هو مدون في الأسطر السابقة أي: «17.50م» مترًا مربعًا ونصف المتر.

ثم إن الشكوك ساورت الباحث بمدى معرفة القارئ لأجزاء وحدة الذراع وكيفية احتسابها مثل: ثلث ذراع، وربع ذراع، وسُدُس ذراع، وثمان ذراع وكيف يمكن إضافتها للأرقام الصحيحة، فتمت العملية الحسابية على النحو التالي:

- 1 - جدار الحُجْرة الشمالي [البيت] 11 ذراعًا وربع وسُدُس الذراع $\times 45$ سم = 5.13 متر و7.5م = $45 \times 11 = 495$ سم أربعة أمتار وخمسة وتسعين سنتيمترًا $+ 45 \times 1/4 = 11.25$ سم

(1) علي حافظ، المرجع السابق، ص 124. هذه هي القياسات التقريبية لبيت عائشة لا يدخل ضمنها الحُجْرة.

$$45 \times 1/6 + 7.5 = \text{سم}$$

$$\text{المجموع: } 513.75 = 7.50 + 11.25 + 495 \text{ سم.}$$

$$\text{التحويل إلى المتر} = 4.65 \text{ م.}$$

$$2 - \text{جدار الحُجرة الجنوبي [البيت] } 10 \text{ أذرع وثلاث ذراع} \times 45$$

$$\text{سم} = 4.65 \text{ م أربعة أمتار وخمسة وستين سنتيمتراً} = 45 \times 10 =$$

$$450 \text{ سم} + 45 \times 1/3 = 15 \text{ سم} = 450 \text{ سم} + 15 = 465 \text{ سم}$$

$$\text{بالتحويل إلى المتر} = 4.65 \text{ م أربعة أمتار وخمسة وستين سنتيمتراً.}$$

$$3 - \text{جدار الحُجرة الغربي [البيت] } 7 \text{ أذرع ونصف وثمان ذراع} \times$$

$$45 \text{ سم} = 343 \text{ سم و } 1.25 \text{ م} = 45 \times 7 = 315 \text{ سم} + 45 \times 1/2 =$$

$$22.50 \text{ سم} + 45 \times 1/8 = 5.625 \text{ سم}$$

$$\text{المجموع: } 434.125 = 5.625 + 22.50 + 315 \text{ سم.}$$

$$\text{وبالتحويل إلى المتر} = 3.43 \text{ متر و } 125 \text{ مليمتراً.}$$

$$4 - \text{جدار الحُجرة الشرقي [البيت] } = 3.43 \text{ سم و } 125 \text{ مم}$$

$$\text{وبناءً على ذلك تكون المساحة الإجمالية للحُجرة أي [البيت]}$$

هي:

$$16 \text{ متراً و } 74 \text{ سم و } 9 \text{ مليمتراً، وهذا يعني أن المساحة} = 16.75 \text{ متراً}$$

$$\text{مربعاً، وخمسة وسبعين سنتيمتراً تقريباً}^{(1)}.$$

$$\text{وهذا يعني على وجه الدقة أن الفارق بين العملية الحسابية الأولى}$$

(1) أشكر الأستاذ عبد الله السائر من سوريا حيث تطوع بتنفيذ هذه العملية الحسابية الدقيقة.

والعملية الحسابية الثانية هو: خمسة وسبعون (75 سنتيمترًا) أي: أن المساحة في العملية الثانية تقل بمقدار (75 سم) عن الأولى. وهذا يقود بالتالي إلى نتيجة حاسمة وهي أن العمليتان الحسابيتان كانتا بمنتهى الدقة، وأن الفارق بينهما طفيفًا ولا يكاد يُذكر.

هذه المساحة الأخيرة المقترحة وهي: ستة عشر مترًا وخمسة وسبعين سنتيمترًا مربعًا، تقريبًا تساوي مساحة غرفة متوسطة الحجم في منازل الوقت الحاضر.

أي: $4 \times 4 = 16.75$ ستة عشر مترًا وخمسة وسبعون سنتيمترًا مربعًا.

ويجد الباحث صعوبة في تصور المساحة التي شغلها القبور الثلاثة من مساحة البيت أي: [الحُجرة] أي: قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه. وقد وضع علي حافظ رسمًا تخيليًا للمساحة التي شغلها القبور الثلاثة من بيت النبي ﷺ أي: بيت عائشة، والواقعة في قبة البيت أي: الجهة الجنوبية منه. وعند معاودة النظر في الرسم الذي اقترحه علي حافظ لمواقع القبور الثلاثة؛ تبين أن عرض المساحة التي شغلها قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر تساوي خمسة أمتار وعشرين سنتيمترًا، إذ إنه جعل طول كل قبر (170 سم) والمساحة بين قبر النبي ﷺ والجدار الغربي للبيت أي: [الحُجرة] تساوي (90 سم)، والمسافة الفاصلة بين قبر النبي ﷺ وقبر صاحبه أبي بكر تساوي (90 سم). ويتحصل من ذلك أن طول الجدار الجنوبي للبيت الذي شغله قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر يساوي خمسة أمتار وعشرين سنتيمترًا (5.20 متر) وهذا يتعارض تمامًا مع طول الجدار الجنوبي [للحُجرة] أي: البيت المقترح من لدن علي حافظ وهو أربعة أمتار وثمانون سنتيمترًا (4.80 مترًا)، أي: أن الفارق بين المساحة

التي شغلها قبر النبي ﷺ في أقصى الجزء الجنوبي من الحُجرة أي: [البيت] تزيد عن طول جدار الحُجرة الجنوبي [البيت] بمقدار أربعين سنتيمتراً: $5.20 - 4.80 = 40$ سم.

ناهيك عن موضع قبر الصحابي عمر بن الخطاب الذي يقع شمالي القبرين.

في ضوء هذا التناقض بين الفرضيتين الحسابيتين من قبل علي حافظ، والفرضية الثانية التي قام بها الباحث، فإنه من الصعوبة بمكان تحديد مساحة الحيز المكاني الذي شغلته القبور الثلاثة.

وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يجوز ترك هذا السؤال بلا إجابة، لذلك فلا بد من الافتراض أن القبور المشار إليها أعلاه قد شغلت مساحة من حُجرة عائشة أي: [البيت] يمكن تقديرها بثلاثة أمتار في مترين ($6 = 2 \times 3$)، أي: ستة أمتار مربعة.

ونتيجة لهذه الفرضية الاجتهادية يبقى ما تمتعت به عائشة من مساحة بيتها عشرة أمتار وخمسة وسبعين سنتيمتراً مربعاً (10.75 م).

وإذا افترضنا أن الجدار الذي استحدثته السيدة عائشة ليكون فاصلاً بين بيتها وبين القبور بعد إحداث قبراً لعمر بن الخطاب بجانب القبرين السابقين، وكان سُمكه ثلاثون سنتيمتراً (30 سم) تكون مساحة بيت عائشة بعد التعديل تساوي عشرة أمتار وعشرة سنتيمترات مربعة 10.10 تقريباً.

أقول إذا جازت هذه الفرضية فإن أم المؤمنين عائشة قد عاشت بقية حياتها في ضيق مكاني يصعب تصويره، وحتى قبل وفاة الرسول ﷺ لا يزال من الصعوبة تصور حياة رسول الله ﷺ وزوجه الكريمة في حيز

مكاني لا تزيد مساحته عن ستة عشر مترًا مربعًا وخمسة وسبعين سنتيمترًا (16.75) أخذًا بعين الاعتبار كثرة من يغشى بيت رسول الله ﷺ (بيت عائشة) من الحذم والإماء والجواري خلال الحياة اليومية؛ مضافًا إلى ذلك بعض الضيوف الذين يغشون بيت رسول الله ﷺ كل مساء وخصوصًا بعض أصحابه من أهل الصُّفة، ناهيك عن بعض الضيوف الطارئین على المدينة فيضطر رسول الله ﷺ لاستقبالهم وضيافتهم في بيته.

كذلك فلا يزال في النفس شيء حول مدى صحة المساحة الحقيقية للبيت الذي عاش فيه رسول الله ﷺ في أيامه الأخيرة، وفيه أيضًا لفظ أنفاسه الطاهرة، ولهذا فلا مناص من القول أنه ربما أن السمهودي لم يكن دقيقًا في قياساته للبيت النبوي. ولعل قادم الأيام يميّط اللثام عن حقيقة ذلك البيت ومساحته وطريقة العيش فيه.

ويُلاحظ أن علي حافظ قد جعل في الرسم المقترح للمساحة التي شغلها قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه تعادل نحو ثلثي مساحة بيت السيدة عائشة تقريبًا⁽¹⁾. ولا بد أن علي حافظ لم يقصد ذلك على وجه الدقة بل إن غرضه هو توضيح الفكرة لا غير.

بطبيعة الحال فإن هذه معلومات استنتاجية وقياسات تقريبية وإذا صدقت هذه التقديرات فإن أم المؤمنين قد عاشت في ضيق مكاني، ولكن لعل ما يخفف من هذه الشدة هو إمكان استفادتها من الحُجرة، وقد أوصت قبل وفاتها ببيتها وحُجرتها لابن أختها عبد الله بن الزبير⁽²⁾.

(1) انظر: ملحق رقم (5) شكل (2).

(2) انظر: السمهودي، وفاء، 2/ 204.

وإجمالاً فقد «بنى عمر بن عبد العزيز» الحُجْرة المطهرة [البيت] بالأحجار السوداء المنحوتة، يقرب لونها من أحجار الكعبة على نفس المساحة التي بنى رسول الله ﷺ بيته عليها...»⁽¹⁾. وبناءً على ذلك فإن المكان الذي يضم قبر الرسول وقبري صاحبيه هو الحيز الفعلي الذي كان يشغله بيت الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

ويضيف السهمودي إلى ما سبق قائلاً: «وأن الظاهر أن ما تُرك في المسجد من الحُجْرة كان من مرافقها كالدَهِليز للباب، وأن ما بني عليه من ذلك هو صِفةُ بيت عائشة رضي الله عنها التي وقع الدفن فيها»⁽²⁾.

إن السؤال المحوري في هذه الدراسة هو: أين توفي رسول الله ﷺ وأين دفن؟ هل توفي في البيت ودفن في الحُجْرة؟ أم توفي في بيته وفيه دفن؟.

إن المصادر الموثوقة تقدم إجابة واضحة لا لبس فيها وهي على النحو التالي: قالت عائشة: «لما ثقل رسول الله واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يُمرَضَ في بيتي فأذِنَ له...»⁽³⁾.

وفي مناسبة أخرى في الحديث عن الوفاة تؤكد عائشة على وفاة الرسول ﷺ في بيته بالقول: «توفي النبي ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري»⁽⁴⁾. وجاء عن عائشة في حديثها عن المناسبة نفسها

(1) انظر: علي حافظ، ص 123. ويظهر أن هذا الوصف الذي قدمه علي حافظ للحُجْرة المطهرة، أي: بيت النبي ﷺ الذي يضم قبره وقبري صاحبيه هو الذي سبق وأن وصفه لنا ابن زبالة، ص 95.

(2) السهمودي، وفاء، 300/2.

(3) البخاري، الصحيح، ص 916 (ح: 4442).

(4) البخاري، المصدر نفسه، ص 918 (ح: 4450)؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ...، 182/8 (ح: 4450).

قولها: «من نعمة الله عليّ أن نبي الله مات بين سحري ونحري وفي بيتي وفي دولتي ولم أظلم فيه أحداً»⁽¹⁾.

وتسترجع أم المؤمنين عائشة لحظة الاحتضار، فتقول: «فلما نُزِلَ به ورأسه على فخذي غُشي عليه، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى»⁽²⁾. وبعد أن سمع أبو بكر نبأ الفاجعة، أي: وفاة رسول الله ﷺ «أقبل ... حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله مسجىً في ناحية البيت عليه بُرد حبرة»⁽³⁾.

وبعد أن أكد أبو بكر نبأ وفاة رسول الله ﷺ أمام جموع الحاضرين في المسجد، جعل أصحاب الرسول يتشاورون أين يدفنونَه؟.

فقال أبو بكر: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قُبِضَ نبي إلا دُفِنَ حيث يقبض» فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه فحُفِرَ له تحته»⁽⁴⁾.

إن جميع الروايات السابقة المتعلقة بالمرض والوفاة والدفن كلها تشير إلى بيت عائشة مؤكدة أن مسلسل الحوادث المتسارعة كان في بيت عائشة لا حُجْرة بيت عائشة⁽⁵⁾، أي: بمعنى أن الحُجْرة لم تكن في سياق الحوادث المشار إليها آنفاً.

(1) ابن سعد، 2/ 262.

(2) البخاري، الصحيح، ص 918 (ح: 4438)، ص 919 (ح: 4463).

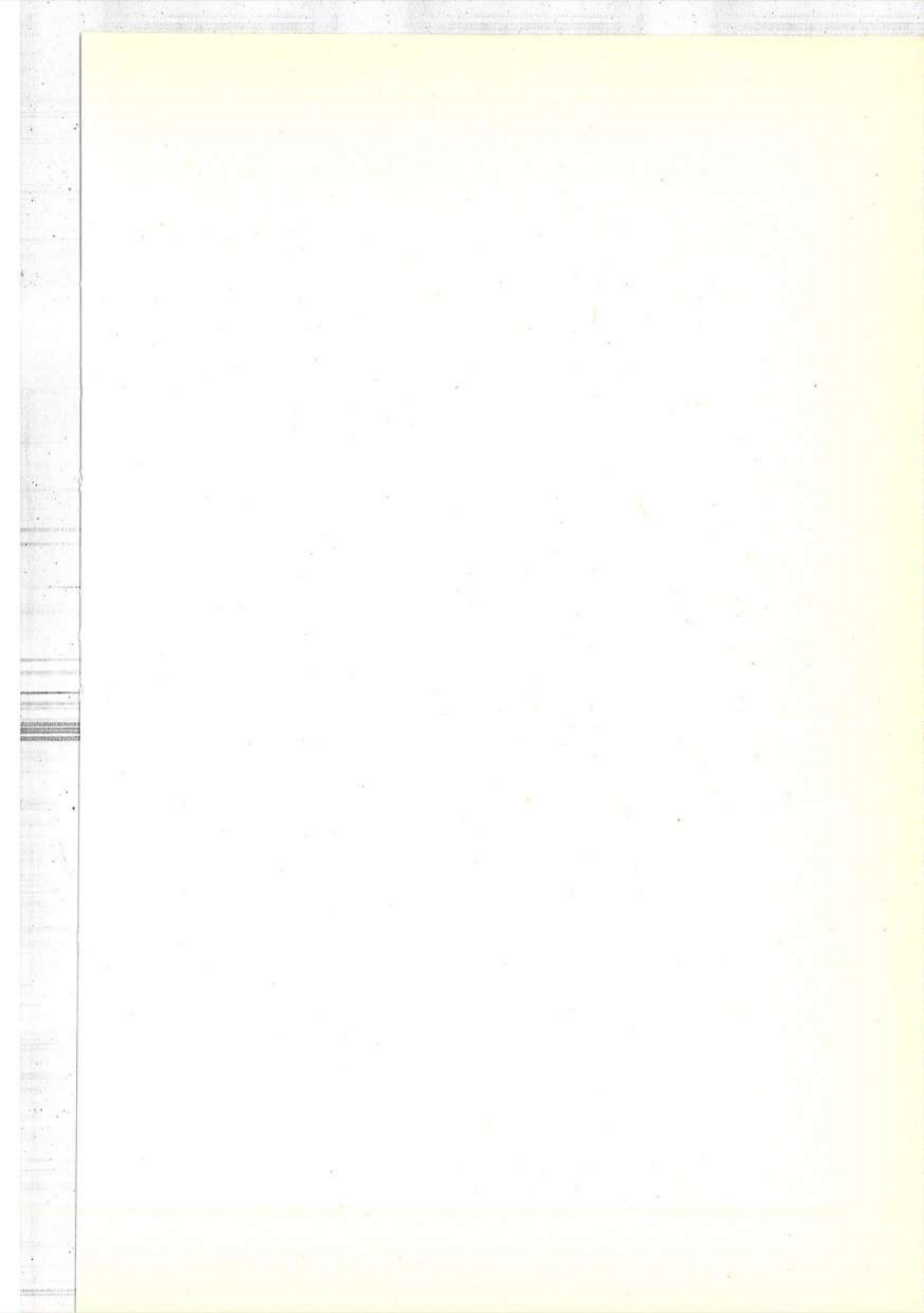
(3) ابن هشام، 4/ 313.

(4) المصدر نفسه، 4/ 321، وانظر: ابن سعد، 2/ 292، 263.

(5) وفي حديث علي حافظ عن موضع قبر النبي ﷺ، أشار إلى أنه دُفِنَ «في حُجْرة بيتة المتواضع» انظر: ص 117؛ وأكد على ذلك عبد الغني حيث قال: «وقُبِضَ رسول الله ﷺ في حُجْرة عائشة ودفن بها» انظر: بيوت الصحابة ...، ص 25.

لذلك فإن الوفاة ومن ثم الدفن كل ذلك حدث في بيت عائشة؛ أي: بيت النبي وهو ما يعرف اليوم بالحُجْرة النبوية تجاوزًا، أما واقع الأمر فإن مدفن رسول الله ﷺ كان في بيته أي: بيت عائشة وليس في حُجْرة البيت.

هذا البيت المطهر الذي أطلنا في الحديث عنه، هو البيت الذي عاش فيه الرسول ﷺ وزوجه الطاهرة نحو عشر سنين تقريبًا، مثله مثل بقية بيوت أهل المدينة، فقد كان يضم بعض المرافق التي يحتاج إليها ساكنوه وهي موضوع الدراسة الآتي.



مرافق بيت عائشة⁽¹⁾

تتوافر للبحث بعض الإشارات المتناثرة في تضاعيف بعض المصادر الرئيسة التي تتحدث بصورة غير مباشرة عن بعض المرافق التي يضمها بيت عائشة؛ مثل: الحُجْرة، المشربة والمستحم أو المغتسل والكنيف، والتنور، والسهوة وغير ذلك. وإن كانت المعلومات عنها شحيحة إلا أنها قد تساعد في إلقاء الضوء على بعض تلك المرافق واستخداماتها، وهي:

الحُجْرة:

الحُجْرة، من مرافق بيت عائشة الرئيسة، وسبق التعريف بها فيما تقدم من هذا البحث. وحُجْرة بيت عائشة هي بمثابة الساحة الخارجية للبيت؛ وهي عبارة عن مكان مُسَيَّج بالجريد وجذوع النخل وغير مسقوف؛ الدليل على ذلك ما جاء عن عائشة أم المؤمنين أنها رأت جبريل عليه السلام واقفاً في حُجْرَتِها على فرس ورسول الله ﷺ يناجيهِ⁽²⁾.

وذكرت الفريرة بنت مالك بن سنان أنه عندما قُتل زوجها، ذهبت

(1) كتبت هُدى بنت فهد الزويد فصلاً شيقاً عن مساكن الأسرة في الحاضرة، تضمن مرافق المساكن ومحتوياتها واستعمالاتها انظر: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1428هـ)، ص 427 - 480. وقد أوحى هذا الفصل للباحث ببعض التصور عن مرافق بيت عائشة.

(2) ابن سعد، 61/8.

إلى رسول الله في بيته، أي: -بيت عائشة- تخبره بأنها تريد أن تقضي أيام عدتها عند قومها بني خُدوة، فقال لها رسول الله: «نعم»، قالت فخرجت مسرورة، حتى إذا كنت في الحُجْرة أو المسجد استدعاني رسول الله ﷺ وطلب مني إعادة القصة، ثم أمرني بالبقاء في بيتي حتى انقضاء عدتي⁽¹⁾. الشاهد في هذه الرواية هو الإشارة إلى البيت والحُجْرة، وأن الحُجْرة المشار إليها هنا هي حُجْرة عائشة الملاصقة للمسجد.

هذه الحُجْرة، أي: حُجْرة بيت عائشة لها باب من جهة الغرب يفتح مباشرة على المسجد، وهو الباب الذي يذلف منه رسول الله ﷺ إلى المسجد. ومن خلال هذا الباب أيضاً كان رسول الله ﷺ في أيام اعتكافه يُخْرِجُ منه رأسه فتقوم السيدة عائشة بغسل شعره وترجيله⁽²⁾. ومن غير المستبعد أن للحُجْرة باب آخر يقع في جهتها الشمالية كما ذكر سابقاً.

ومما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد أن باب الحُجْرة النافذ إلى المسجد هو عبارة عن ستارة لا غير⁽³⁾. وألقى رسول الله ﷺ نظرة الوداع على أصحابه فجر يوم الاثنين الذي توفى فيه؛ فقد كشف ستر حُجْرة عائشة ونظر إليهم وهم صفوف في صلاتهم، فتبسم يضحك... ثم دخل الحُجْرة فأرخى الستر بينه وبينهم⁽⁴⁾.

المَشْرَبَةُ:

والمَشْرَبَةُ «بالفتح: الغُرفة، وكذلك المَشْرَبَةُ بضم الراء،

(1) ابن سعد، 8/368.

(2) النسائي، 1/198 (كتاب الحيض، ح: 20، 21)؛ وقارن ابن حنبل، 6/86.

(3) ابن سعد، 2/217.

(4) المصدر نفسه، 2/217.

والمشارب: العلالِي»⁽¹⁾. وجاء في تعريف آخر للمشربة أنها: «الغرفة» وهي المشربة جعلوه اسمًا كالغرفة وهي كالصَّفَّة بين يدي الغرفة»⁽²⁾. ثم يقدم ابن منظور تعريفًا للغرفة على أنها: «العِلِّيَّة والجمع عُرُفَات وغُرُف»⁽³⁾.

الذي يمكن الاستفادة منه هنا هو أن المشربة: هي العِلِّيَّة وهي الغُرْفَة كذلك، وبما أن من أسمائها العِلِّيَّة، فلا بد أن تكون في مكان عالٍ، أي: أنها في أعلى البيت.

وجاء عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ سقط عن فرسه فُجِحَتْ⁽⁴⁾ ساقه أو كتفه وآلى من نساءه شهرًا: فجلس في مشربه له درجتها من جذوع، فأتاه أصحابه يعودونه، فصلى بهم جالسًا⁽⁵⁾. الذي يمكن استنتاجه من هذا الخبر أن المشربة ذات حجم معقول حيث أنها تتسع لعدد من أصحاب رسول الله ﷺ، وأنه أمهم بالصلاة في تلك المشربة وأنها ذات درج ربما من جذوع النخل.

ويظل موقع المشربة مجهولًا إذ إن الروايات السابقة لم تصرح به ولم تشر إليه!. وفي رواية عند أبي داود ربما أنها تتحدث عن المناسبة نفسها أي: حادث سقوط الرسول ﷺ عن فرسه، فانفكت قدمه، قال جابر: «فأتيناه نعوذه فوجدناه في مشربة لعائشة ... ثم

(1) الجوهرى، 153/1، مادة «شرب».

(2) ابن منظور، 491/1، مادة «شرب».

(3) المصدر نفسه، 164/9، مادة «غرف».

(4) جحش، أي: انخدش جلده وانسجج أي: «انقشر» انظر: المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطناحي (بيروت: دار الفكر، د: ت)، 241/1.

(5) البخاري، الصحيح، ص 83 (ح: 378).

أتيناه مرة أخرى نعوده فصلى المكتوبة جالسًا، فقمنا خلفه، فأشار إلينا فقعدنا...»⁽¹⁾.

في هذه الرواية الأخيرة يتحدد موقع المشربة إذ إنها ربما تقع فوق بيت عائشة -أي: على السطح- إذ جاء في رواية جابر قوله: «في مشربة لعائشة» وأين تكون هذه المشربة إن لم تكن فوق بيت عائشة؟ وإلا لماذا تنسب إليها؟ ولا بد أن درج المشربة كان خارج البيت وذلك حفاظًا على خصوصية البيت نفسه.

والمشربة يمكن أن يطلق عليها مسمى الخزنة، فقد زار عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ وهو في غرفته أي: «المشربة» فجزع مما رأى فيها من متاع زهيد، فقال موجهًا حديثه لرسول الله ﷺ: «وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى»⁽²⁾.

وجاء في رواية عن جابر يتحدث فيها عن حادثة وقوع الرسول ﷺ عن فرسه وما حدث لقدمه، قال: فدخلت عليه -أي: على رسول الله ﷺ- فخرج إلينا أو قال، وجدناه في حُجُرَتِه جالسًا بين يدي غرفة فصلى جالسًا وقمنا خلفه فصلينا...⁽³⁾.

(1) أبوداود، 1/ 220 (ح: 602).

(2) محمد بن يزيد القزويني بن ماجه، سُُنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: المكتبة العلمية، د: ت)، 2/ 1390 - 1391 (ح: 4153)؛ وبصرف النظر عن مشربة عائشة فإن لدينا روايات كثر تفيد أن المشربة يمكن أن تكون مخزنًا للطعام أو للسلاح، وإن بعضها يكون عليها قفل لحفظ ما فيها من متاع. انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سُُنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وجماعة، ط2 (القاهرة: مطبعة الحلبي، 1398هـ)، 5/ 244 - 246؛ ابن حنبل، 4/ 174، 5/ 445؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ط3 (القاهرة: دار المعارف، د: ت)، 1/ 278 - 279.

(3) ابن حنبل، 3/ 395.

يظهر أن هذه الحُجْرة التي وردت في رواية جابر شبيهة بالحُجْرة التي تكون في مقدمة البيت التي سبق الحديث عنها مفصلاً، أو ربما أن هذه الحُجْرة هي مجرد سياج من حصير يكون في مقدمة المشربة أو الغرفة، يمكن أن يستخدم للصلاة أو لاستقبال الزوار.

المغتسل أو المستحم:

«المغتسل، الموضع الذي يُغتسل فيه، والجمع المغاسل والمغاسيل»⁽¹⁾. التعريف السابق لا يبين لنا صفة المغتسل أهو بناء أم سقيفة أم مِم يتكون وأين يقع من المنزل؟، ولذلك فلا بد من الافتراض أن موضعه في إحدى زوايا البيت أو ربما أنه عبارة عن سقيفة ملحقة بالحُجْرة، ولا بد أن يكون سائرًا لمستخدميه. وربما استخدمه أكثر من واحد في آن، فقد جاء عن عائشة أنها كانت ورسول الله ﷺ يغتسلان من إناء واحد⁽²⁾. وأفادت أم سلمة في أكثر من رواية أنها تغتسل ورسول الله ﷺ من إناء واحد⁽³⁾. وتؤكد ميمونة بنت الحارث، أنها كانت تغتسل ورسول الله ﷺ من إناء واحد من الجنابة⁽⁴⁾. هذا الإناء الذي أشارت إليه الروايات السابقة، هو عبارة عن إناء من صفر أو نحاس⁽⁵⁾.

ويظهر أن المستحم؛ هو اسم مرادف للمغتسل، ولو أن ابن منظور قد ميزه عن المغتسل باستخدام الماء الحار فيه، فقال: الاستحمام: الاغتسال بالماء الحار ... ثم صار كل اغتسال استحمامًا بأي ماء كان.

(1) ابن منظور، 494/11، مادة «غسل».

(2) ابن ماجه، 133/1 (ح: 376).

(3) مسلم، 257/1، (ح: 49).

(4) مسلم، 257/1، (ح: 47)، الترمذي، 91/1 (ح: 62).

(5) ابن سعد، 485/1.

وفي الحديث: «لا يبولن أحدكم في مستحمه، وهو الموضع الذي يُغْتَسَلُ فيه بالحميم»⁽¹⁾. والحميم هو الماء الساخن.

وجاء النهي النبوي صريحاً عن عدم البول في المستحم موضعاً علّة ذلك، فقال: «لا يبولن أحدكم في مستحمه فإن عامة الوسواس منه»⁽²⁾.

وقد علّق الطنافسي على هذا الحديث قائلاً: «إنما هذا في الحفيرة فأما اليوم، فلا. فمغتسلاتهم الجص والصاروج والقيبر، فإذا بال وأرسل عليه الماء فلا بأس»⁽³⁾.

الكنيف:

«الكنيف: الخلاء، وكله راجع إلى السُّتْرِ ... والكنيف كأنه كُنف في أستر النواحي»⁽⁴⁾ وقبل استخدام الكُنف في المنازل، كان الناس في المدينة يقضون حاجتهم في المناصب؛ وهي «المواضع التي يُتَخَلَّى فيها لبول أو غائط أو لحاجة، الواحد منصع، لأنه يبرز إليها ويظهر ...»⁽⁵⁾. وذكرت عائشة أن نساء المدينة كن لا يخرجن إلى المناصب إلا ليلاً، وذلك قبل أن تتخذ الكُنفُ قريباً من البيوت⁽⁶⁾. وجاء عند الأزهري، أن

(1) ابن منظور، 15/12، مادة «حمم».

(2) ابن ماجه، 1/111، (ح: 304)؛ النسائي، 1/34، (ح: 36).

(3) انظر: ابن ماجه، 1/111، (ح: 304) وانظر معاني المفردات الواردة في التعليق مثل: الحفيرة، الجص، الصاروج، والقيبر في حاشية الصفحة نفسها. والمقصود بـ «الصاروج» هنا كما جاء عند ابن منظور نقلاً عن ابن سيده: «النورة بأخلاطها، تطلّى بها الحياض والحمامات، وهو بالفارسية جاروف ...» انظر: ابن منظور، 2/310، مادة «صرج».

(4) ابن منظور، 9/310، مادة «كنف».

(5) ابن منظور، 8/356، مادة «نصع».

(6) انظر: البخاري، الصحيح، ص 1004-1005 «كتاب التفسير، سورة النور»، (ح: 4750).

المناصع موضع بعينه خارج المدينة، وكُنَّ النساء يتبرزن إليه بالليل على مذاهب العرب في الجاهلية⁽¹⁾.

وبعد أن اتخذت الكُنف في المنازل استعيض بها عن الذهاب إلى المناصع، ويبدو أن الكنيف عبارة عن حفرة في الأرض يُنصب على جانبيها لبنتين ليسهل على الإنسان قضاء حاجته، فقد جاء عن عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ قال: «رقيت على ظهر بيت، فرأيت رسول الله ﷺ قاعدًا على لبنتين مستقبلًا بيت المقدس لحاجته»⁽²⁾. والبيت الذي ورد في حديث عبد الله بن عمر مجهول، ولا يعرف مدى قربه أو بعده من بيوت رسول الله ﷺ ولكن جاء في رواية أخرى عن عبد الله بن عمر أيضًا وعن المناسبة نفسها صرح فيها أن البيت الذي صعد على ظهره هو بيت أخته حفصة⁽³⁾. ومعلوم أن بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر قريب جدًا بل يكاد يلاصق بيت عائشة من الجهة الجنوبية، فلا يستبعد إذاً أن عبد الله قد أبصر رسول الله ﷺ يقضي حاجته في بيت عائشة. وبما أن الكنيف «كُنف في أستر النواحي» فإن من المحتمل جدًا أن يكون الكنيف الذي يقضي فيه رسول الله ﷺ حاجته في مكان ستر، كأن يكون في سقيفة أو نحو ذلك⁽⁴⁾. أو ربما أنه كان في زاوية من حُجرة عائشة، بينها وبين بيت فاطمة وهو ما

(1) الأزهرى، 37/2، مادة «نصع».

(2) البخاري، الصحيح، ص 38 (ح: 149)؛ مسلم، 1/224-225، (ح: 61)؛ ابن ماجه، 1/116، (ح: 322).

(3) البخاري، الصحيح، ص 38 (ح: 148)؛ مسلم، 1/225-226، (ح: 62).

(4) انظر: مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، د: ت)، ص 315، «كتاب الاعتكاف».

يعرف بالمخرج⁽¹⁾. ويسمى الكنيف أيضًا «المرفق»، وكان من عادة رسول الله ﷺ إذا دخل المرفق لبس حذاءه وغطى رأسه⁽²⁾.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى بعض الآداب التي يُستحبُّ استحضارها عند دخول الكنيف أو الخروج منه؛ فقال: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم، إذا دخل الكنيف أن يقول: بسم الله»⁽³⁾. وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء؛ قال: «أعوذ بالله من الخُبث والخبائث»⁽⁴⁾.

وقالت عائشة؛ أن رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط، قال: «غفرانك»⁽⁵⁾. وفي بعض الظروف الاستثنائية مثل المرض أو نحوه يضطر الإنسان إلى البول في وعاء خاص بذلك، فقد جاء في الحديث أنه كان للنبي ﷺ قدح من عيدان⁽⁶⁾. يبول فيه ويضعه تحت السرير⁽⁷⁾. وفي لحظة النزاع الأخير شعر رسول الله ﷺ بالحاجة إلى التبول فدعا بالطست⁽⁸⁾ يبول فيها فتوفي قبل ذلك⁽⁹⁾.

هاتان الروايتان تشيران إلى بعض الحالات التي يعجز فيها الإنسان عن الوصول إلى الكنيف، فيضطر إلى البول في بعض الأوعية الخاصة بذلك، والروايتان في الوقت نفسه تقودان إلى

(1) السمهودي، وفاء، 2/ 207-208.

(2) ابن سعد، 1/ 383.

(3) ابن ماجه، 1/ 109، (ح: 297).

(4) المصدر نفسه، 1/ 109، (ح: 298).

(5) المصدر نفسه، 1/ 110، (ح: 300).

(6) عيدان: سيعرف به لاحقاً عند الحديث عن الأثاث والمتاع.

(7) النسائي، 1/ 31، (ح: 28).

(8) الطست: سيعرف به لاحقاً عند الحديث عن الأثاث والمتاع.

(9) ابن سعد، 2/ 260-261؛ النسائي، 1/ 32.

الاعتقاد بأن بعض أهل المدينة في ظروف خاصة قد يضطرون إلى التبول في بعض الأوعية.

السهوة:

وتعريفها لا يخلو من إشكال إذ إنه لا يبين على وجه محدد صفتها ولا وظيفتها، فقد جاء تعريفها عند ابن الأثير على النحو التالي:

السهوة: «بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً، شبيه بالمخدع والخزانة. وقيل: كالصفة تكون بين يدي البيت، وقيل: شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء»⁽¹⁾. وليس من المستبعد أن سهوة بيت عائشة هي أشبه ما تكون بالرف أو الطاق، وهذا ما توحي به بعض رواياتها بهذا الخصوص. فقد جاء عن عائشة أنه كان لها سترٌ فيه تماثيل - أي: صور- فجعلته على سهوة لها⁽²⁾.

وفي رواية أخرى أنه كان في بيتها ثوب فيه تصاوير فجعلته إلى سهوة في البيت⁽³⁾. وفي مناسبة أخرى تتحدث عائشة قائلة: «قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد اشترت نمطاً»⁽⁴⁾، فيه صورة فسترته على سهوة بيتي...⁽⁵⁾. وتحدثت كذلك أن نبي الله ﷺ قدم من سفر وقد سترت بقرام⁽⁶⁾ لها على سهوة فيها تماثيل⁽⁷⁾ - أي: صور-.

(1) ابن الأثير، النهاية، 2/ 430؛ وقارن ابن منظور إذ قدم تعريفات مختلفة لمعنى السهوة، 14/ 406 - 407، مادة «سها».

(2) البخاري، الصحيح، ص 492، (ح: 2479).

(3) ابن حنبل، 6/ 172؛ النسائي، 8/ 213، (كتاب الزينة: 110).

(4) النمط: سيعرف به لاحقاً عند الحديث عن الأثاث والمتاع.

(5) ابن حنبل، 6/ 247.

(6) القرام: سيعرف به لاحقاً عند الحديث عن الأثاث والمتاع.

(7) البخاري، الصحيح، ص 1268 - 1269، (ح: 5954)؛ النسائي، 8/ 214، (ح: 111).

وتحدثنا عائشة مرة أخرى أنه كان في سهوتها سترٌ فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة -لُعْب-؛ فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي؛ ورأى بينهن فرساً له جناحان ... (1).

إنه من اللافت في الأمر أن جميع روايات السهوة تقريباً تنسب إلى عائشة وليس شيء منها ذا صلة بأي من بقية أزواج الرسول ﷺ. ويُلاحظ كذلك أن بعض تلك الروايات لها علاقة بلُعْب عائشة، وربما أن هذه الملحوظة تقود إلى الاستنتاج بأن السهوة موضع صغير أو تجويف صغير في جدار البيت، فكانت عائشة تستخدمه مكاناً للُعْبها وتضع عليه سترًا قد يكون ساذجاً أو يكون ذا تصاوير وهذا الأخير غير محبذ من لدن رسول الله ﷺ فربما نزعهُ أو هتكه. وقال لعائشة ذات مرة مستنكراً استعمال الستر الذي فيه صورة: «أتسترين الجُدُر يا عائشة!» (2).

لكن لعل ما يثير اللبس حول السهوة وحجمها وموضعها من البيت هو ما جاء عند ابن سعد في إحدى رواياته عن عائشة بأنها قالت: «... فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جدارًا ... وكانت هذه القبور في سهوة بيت عائشة» (3).

لذلك فإنه ليس من السهل التوفيق بين سهوة لُعْب عائشة وبين ذاك المكان الفسيح نسبياً الذي يضم قبر الرسول ﷺ وقبري صاحبيه، وهذا يدل على التوسع اللغوي في مدلول «السهوة» ولهذا فقد جاء عند

(1) أبو داود، السنن، 2/ 701، (ح: 4932).

(2) ابن حنبل، 6/ 247.

(3) ابن سعد، 3/ 364. ربما أن عائشة كانت تقصد المكان الذي فيه السهوة التي تضع فيها لُعْبها.

الأزهري ما قد يزيد الأمر إشكالاً حيث قال: «المُعْرُسُ الذي عُمِلَ له عَرَسٌ وهو الحائط يُجْعَل بين حائطي البيت لا يُبْلَغُ به أَقْصَاهُ... ويسقف البيت كله فما كان بين الحائطين فهو السهوة...»⁽¹⁾.

لذلك فربما أن ما جاء عند الأزهري من تعريف للسهوة وكذلك الإشكال الذي جاء عند ابن سعد حول مسمى السهوة لموضع قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه. قد يقودان إلى الانطباع بأن السهوة تكون على أوجه مختلفة حسب دواعي استعمالها، لهذا جاءت أوصافها متباينة والذي يبدو مما تقدم أن السهوة التي تضع فيها السيدة عائشة لُعبها وتغطيها بالأسرار المختلفة؛ لا تعدو كونها رفٌ صغير في حائط البيت. وأن هذا الرف الصغير صار فيما بعد ضمن المكان الذي أصبح أخيراً موضع قبر الرسول ﷺ وقبري صاحبيه.

الموقد والتنور،

من الطبيعي أن يكون في كل بيت مكان للطبخ وموقد للنار، ولكن من اللافت للنظر أن المصادر التي تم الرجوع إليها لم تشر إلى أي شيء من ذلك بالنسبة لبيوت النبي ﷺ، وهذا لا ينفي وجود الموقد في بيوته وعلى الأخص بيت عائشة الذي يدور عليه البحث، لكن ربما أن عدم الاعتماد بصورة رئيسة على الطعام المطبوخ هو الذي جعل الإشارة إلى المطبخ وموقد النار تأتي نادرة! فقد جاء عن عائشة، أنه كان يأتي عليهم الشهر وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ ناراً، إذ يكتفون من الطعام بالتمر والماء⁽²⁾. وتستدرك عائشة في الرواية نفسها قائلة: «إلا أن يؤتى

(1) الأزهري، 6/366، مادة «سهو»؛ ابن منظور، 4/407، مادة «سها».

(2) البخاري، الصحيح، ص1365، (ح: 6458)؛ مسلم، 4/2282، (ح: 2972).

باللحم»، أي: اللحم، وهذه إشارة لقلة اللحم وندرته، فإذا توافر اللحم فإنهم يوقدون النار⁽¹⁾.

وجاء عن عائشة في السياق ذاته أنه كان يمضي عليهم أكثر من شهرين دون أن توقد في بيوت رسول الله ﷺ نار، إنما كان طعامهم الأسودان التمر والماء، وكان لبعض جيرانهم من الأنصار منائح، فكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقي أهل بيته⁽²⁾.

وإذا كان استخدام موقد النار على هذه الحال من الندرة، نظرًا لاعتماد بيوت رسول الله ﷺ على التمر والماء مادة غذاء رئيسة تمتد لشهر أو شهرين أو أكثر، فإنه من المفهوم كذلك عدم الحاجة الماسة إلى التنور الذي يُستصلح فيه الخبز وذلك لعدم توافر مادة الدقيق سواءً كان شعيرًا أو حنطة. لذلك فقد كانت الإشارة في مصادر الدراسة إلى التنور نادرة جدًّا، إذ جاء في رواية واحدة عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان⁽³⁾، قالت فيها: «لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدًا ستين أو سنة وبعض سنة...»⁽⁴⁾.

وهذا ربما يفيد أنه في السنين الأولى من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يكن في بيوته تنور، ولهذا فقد استعان أهل رسول الله ﷺ بتنور

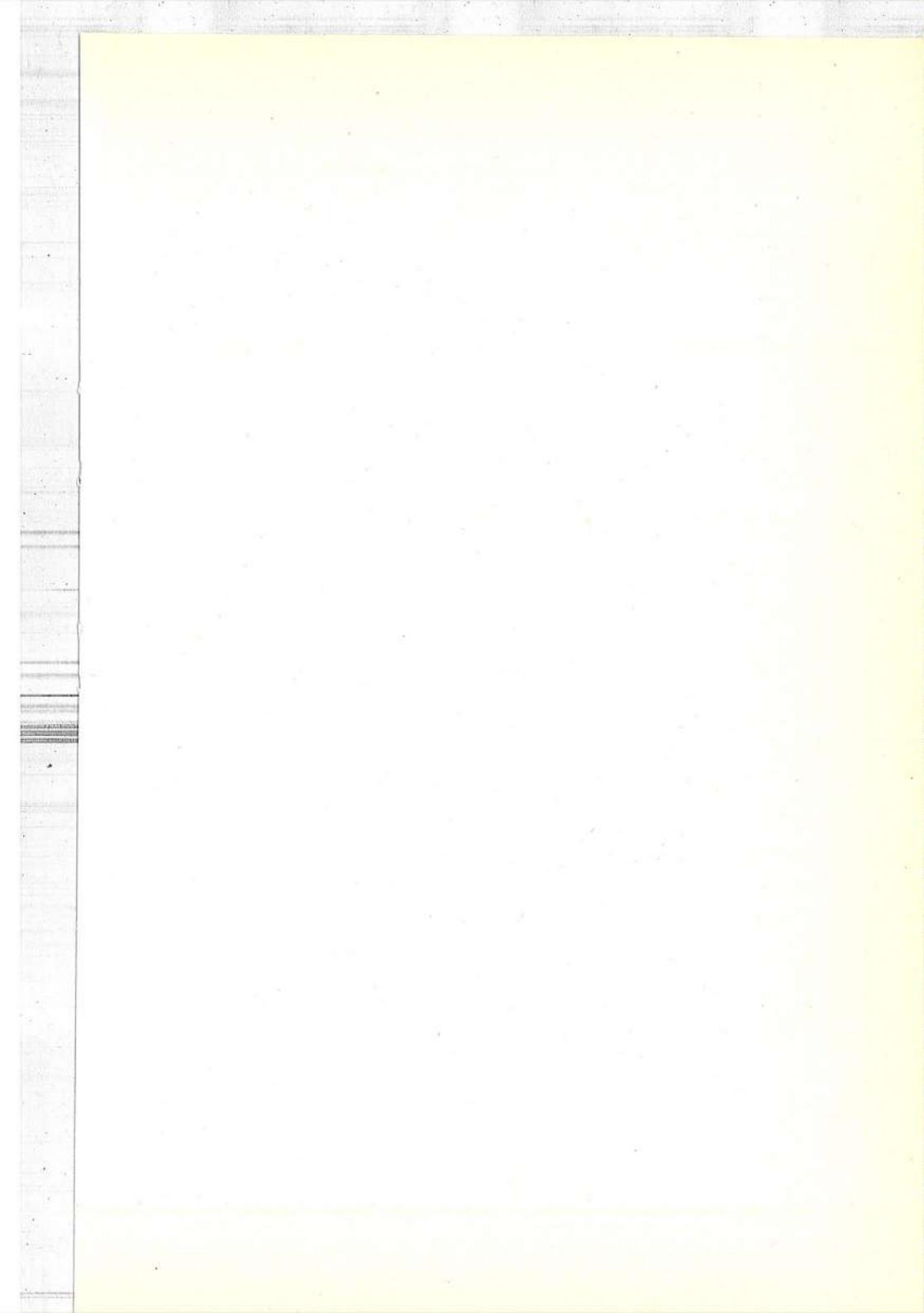
(1) المصادر السابقة والمواضع السابقة.

(2) البخاري، الصحيح، ص 510، (ح: 2567)؛ ابن حنبل، 6/ 71، 86؛ مسلم، 4/ 2283، (ح: 2974)؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 11/ 353-354.

(3) أم هشام بنت حارثة بن النعمان، من بني مالك بن النجار، وهي ابنة حارثة الذي تنازل عن بعض بيوته للنبي ﷺ. بايعت بيعة الرضوان روى عنها عبد الرحمن بن سعد، وخبيب بن عبد الرحمن وعمره. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، 5/ 501، (ت: 7619)؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 4/ 2762، (ت: 12285).

(4) ابن حنبل، 6/ 435 - 436؛ مسلم، 2/ 595، (ح: 873)؛ وقارن أبو داود، 1/ 356، (ح: 1100).

الجيران متى ما دعت الحاجة إليه. وهذا على الأقل ما تشي به شهادة أم هشام، ويظهر من الشهادة نفسها أنه بعد سنة وبضعة أشهر تغير الحال في بيوت النبي ﷺ نحو الأحسن، إذ لم تستمر الحاجة إلى تنور أم هشام إذ من المحتمل أن التنور قد أحدث في بيوت رسول الله ﷺ.



أثاث بيوت النبي ﷺ ومتاعها (1)

إن هذه البيوت التي كانت مدار البحث في الصفحات الماضية، كانت وبحكم الضرورة لا تخلو من أثاث ومتاع يساعد على جعل الحياة في أرجائها أكثر يسراً، ولو أن الأثاث الذي سيتطرق إليه البحث هنا يتصف بقدر كبير من البساطة.

ولأنه سبق وأن اتخذنا بيت عائشة أنموذجاً لبيوت أزواج النبي ﷺ لأسباب ذكرت آنفاً، فإن الحديث هنا سينصب بصورة أساس على محتويات بيت عائشة من الأثاث والمتاع، وهذا لا يعني بحال إغفال أثاث ومتاع بقية بيوت أزواج النبي ﷺ، بل سيشار إليه متى ما جاءت المناسبة أو توافرت المعلومة عن متاع هذا البيت أو ذاك.

وفي حديث عائشة عن زواجها من رسول الله ﷺ، ذكرت أن أباهما

(1) الأثاث والمتاع؛ «الأثاث: الكثير من المال... وقيل المال كله والمتاع ما كان من لباس أو حشو لغراش أو دثار... والأثاث أنواع المتاع من متاع البيت ونحوه...» انظر: ابن منظور، 2/ 111، مادة «أث»، أما المتاع: «من أمتعة البيت ما يستمتع به الإنسان من حوائجه، وكذلك كل شيء... والمتاع، المال والأثاث، والجمع أمتعة» ابن منظور، 8/ 232-333، مادة «متع». والمتاع عند ابن الأثير هو «كل ما يتنفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها» النهاية في غريب الحديث، 4/ 292-293، مادة «متع». ومما له علاقة بمفردات الأثاث والمتاع في عصر الرسول ﷺ «الفرش والستور على عهد النبي ﷺ»، محمد بن فارس الجميل، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة، الرياض، 1413هـ، ص 153-210.

زَوْجَهَا من رسول الله على متاع بيت قيمة خمسون أو نحوًا من خمسين⁽¹⁾. والخبر هنا لم يفصح عن ماهية ذلك المتاع! وحتى القيمة التي أُشير لها كمًّا وأهملت الإشارة إليها نوعًا أي: هل كانت القيمة بالدرهم أم بالدنانير؟ وعلى كل، فإن الخبر لا يخلو من فائدة وهي جواز أن يكون متاع البيت صداقًا. وهذا يعكس مدى أهمية الأثاث والمتاع لكل بيت. وهو موضوع هذه الدراسة على النحو التالي:

أولاً:

أ - ما يفرش أو ييسط على وجه الأرض أو يستعمل دثارًا وغطاءً:

البساط:

ويندرج ضمن هذا النوع من الفرش، وهو ما ييسط على الأرض⁽²⁾. ويظهر أن البساط يصنع من مواد شتّى، مثل جريد النخل⁽³⁾. وجاء في رواية عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ أن بعض أنواع الأكسية تصلح بساطًا فكان لديها كساءٌ خيرٌ نضعه على المنامة⁽⁴⁾.

الحصير:

ومما يتخذ فراشًا على الأرض، الحصير: وهو سفيفة من بردى⁽⁵⁾ أو

(1) ابن سعد، 59/8.

(2) ابن منظور، 259/7، مادة «بسط»، الجوهرى، 1116/3.

(3) مسلم، 457/1.

(4) ابن حنبل، 298/6، المنامة: هي الدكان، وفي حديث علي: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا على المنامة قال: يحتمل أن يكون الدكان. وقال ابن الأثير: المنامة هاهنا الدكان والدكان: هو الدكة المبنية للجلوس عليها. ابن منظور، 157/13، مادة «دكن».

(5) البردي، بالفتح نبت معروف واحد بردية، ابن منظور، 83/3.

أَسْلَ⁽¹⁾، والحصير: «المنسوج يُسمى حصيراً لأن طاقاته حُصرت بعضها مع بعض»⁽²⁾. وقد روى أحد الصحابة أنه دخل على رسول الله ﷺ فوجده يصلي على حصير⁽³⁾.

وقد يؤنث الحصير، فهو الحَصِيرَة كما جاء في بعض الروايات عن عائشة، إذ قالت: كان لرسول الله ﷺ حصيرة يسطها بالنهار ويحتجرها بالليل فيصلّي فيها⁽⁴⁾. وفي رواية أخرى لعائشة تفيد أنه كانت لهم حصيرة يسطونها بالنهار ويحتجروها بالليل⁽⁵⁾.

يبدو أن الحصير ليس من نوع الفرش الوثير اللين، فهو فراش خشن ولا غرابة في ذلك إذ إنه يصنع من مادة القصب كالأسل والبردي. وفي شهادة لعمر بن الخطاب أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو جالس على حصير وعليه إزار ليس غير، وقد لاحظ أن الحصير قد أثر في جنبه⁽⁶⁾.

الخُمرة:

ومن أنواع الحصير ما يعرف؛ بالخُمرة: «وهي حصير صغير قدر ما يُسجد عليه .. ينسج من السعف، أصغر من المصلى ... وقيل سُميت خُمرة، لأنها تستر الوجه عن الأرض»⁽⁷⁾. التعريف السابق يُظهر أن

(1) الأسْل عيدان تبت طوَّالاً دقاقاً مستوية لا ورق لها يعمل منها الحُصر. ابن منظور، 15/11.

(2) الأزهرى، 234/4؛ وقارن ابن منظور، 195/4-196.

(3) مسلم، 1/369؛ ابن ماجه، 1/328.

(4) النسائي، 2/68. والاحتجاج: أن يتخذ الحَصِيرَة كالحجرة أي: الحاجز فلا يمر عليه مار. انظر: المصدر نفسه، والموضع نفسه أسفل الحاشية.

(5) ابن حنبل، 6/40.

(6) ابن ماجه، 2/1391-1390.

(7) الأزهرى، 7/380.

استخدام الخمرة مرتبط بالصلاة، لذلك فلا غرابة أن شاع استخدامها في بيوت النبي ﷺ، فقد ورد عن عائشة أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ناوليني الخمرة من المسجد»⁽¹⁾. وذكرت ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ أن رسول الله كان يصلي على الخُمرَة⁽²⁾. وقالت أيضًا: «وتقوم إحدانا بالخُمرَة إلى المسجد فتبسطها لرسول الله وهي حائض»⁽³⁾.

الْخَمِيلُ وَالْخَمِيلَةُ:

جاء عند ابن منظور الخميلُ والخميلة بمعنى واحد «أي: القطيفة؛ وهي كل ثوب له خمل-هدب- من أي كان»⁽⁴⁾. وأشارت أم سلمة إلى الخميلة بقولها: «بينما أنا مع رسول الله ﷺ مضطجعة في خميلة...»⁽⁵⁾. ويظهر من هذه الإشارة المقتضبة للخميل والخميلة أنهما مسميان لشيء واحد وهو القطيفة، وأنهما دثار أي: غطاءٌ وثير ولا يمكن تشبيههما بالحصير مثلاً.

الفراش:

من متاع البيت الذي لا غنى عنه⁽⁶⁾، وقد جاء عن النبي ﷺ قوله: «فراش

(1) ابن ماجه، 507/1.

(2) البخاري، الصحيح، ص 83، (ح: 381)؛ مسلم، 458/1؛ ابن ماجه 328/1.

(3) النسائي، 146-147، 195.

(4) ابن منظور، 222/11، مادة «خمل».

(5) ابن حنبل، 300/6؛ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، ط 1 (القاهرة: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ببيروت، 1407هـ)، 260/1؛ مسلم، 243/1؛ النسائي، 150/1، ابن منظور، 22/11.

(6) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط 1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1986م)، ص 775.

للرجل وفراش لأهله والثالث للضيف والرابع للشيطان⁽¹⁾. ويظهر من هذا الحديث أنه توجيه نبوي كريم للاقتصاد في الفرش، فما زاد عن حاجة الرجل وأهله وضيفه فهو تبذير وإسراف بل هو للشيطان.

وقد ذكرت عائشة أم المؤمنين، وصفاً مختصراً لفراش رسول الله ﷺ، فقالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من آدم وحشوه ليف»⁽²⁾. والمقصود بالأدم هنا أي: الجلد المدبوغ. وفي إشارة أخرى عن فراش رسول الله: كان ضجاع رسول الله ﷺ آدمًا حشوه ليف⁽³⁾.

وهكذا يتبين بوضوح من الروايات السابقة أن الفرash في بيت رسول الله ﷺ كان من الجلد المدبوغ، ولم يكن يكن محشواً بالصوف أو القطن بل بما هو أقل شأنًا من ذلك وهو الليف!! بل كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه في غاية التواضع وصغر الحجم، فقد كان نحواً مما يوضع للإنسان في قبره⁽⁴⁾.

القطيفة:

ومما قد يكون من مكملات الفرash؛ القطيفة: وهي دثار مُخَمَّلٌ، أي: له هدب⁽⁵⁾. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: «تعس عبدٌ

(1) أبو داود، 2/ 468-469؛ النسائي، 6/ 135.

(2) البخاري، الصحيح، ص 1364 (ج: 6456)، مسلم، 3/ 1650؛ أبو داود، 4/ 87؛ الترمذي، 247/ 4.

(3) ابن ماجه، 2/ 1390؛ أبو داود، 2/ 469.

(4) أبو داود، 2/ 730-731.

(5) الجوهرى، 4/ 1417؛ ابن منظور، 9/ 286.

القطيفة»⁽¹⁾. أي: الذي يعمل من أجلها ويهتم بتحصيلها، كناية عن الاهتمام المبالغ فيه من رغد العيش. وقالت عائشة: «... وكان لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير فكنا نلبسها»⁽²⁾. ويبدو أن اللبس هنا بمعنى الاستعمال وليس المقصود لبسها كالثوب مثلاً. وقد جاء في رواية أخرى عن عائشة تفيد أن القطيفة دثار، قالت: ... لقد رأيتني وأنا تحت كسائي بين النبي ﷺ وبين القبلة فأكره أن أسنح بين يديه حتى أنسل من تحت القطيفة انسلاً⁽³⁾. ويظهر أن القطائف ذات أحجام مختلفة فكان علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ إذا دخلا في قطيفتهما إذا غطت رأسيهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رأسيهما⁽⁴⁾. وهذا دليل على صغر حجم تلك القطيفة فهي بالكاد تفي بالغرض لاثنتين.

وبعض القطائف صغيرة الحجم حتى إن المرأة تستخدمها لفاعاً⁽⁵⁾. ويبدو أن القطيفة لا تستخدم في كل الأحوال دثاراً، بل تستخدم فراشاً كذلك⁽⁶⁾. وربما تستخدم وطائاً، فقد جاء أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فديكة⁽⁷⁾، والإشارة إلى كونها فديكة يقوي

(1) ابن منظور، 286/9، مادة «قطف»، وانظر: الحديث عند البخاري، الصحيح، ص 585، (ح: 2886، 2887).

(2) مسلم، 3/1666؛ النسائي، 8/213؛ انظر: مادة «لبس» عند ابن منظور، 6/202؛ والمقصود بالعلم الذي أشارت له السيدة عائشة، هو: رسم الثوب، وعلمه رقبته في أطرافه، وقد أعلمه: جعل فيه علامة، وجعل له علماً. ابن منظور، 12/420، مادة «علم».

(3) ابن حنبل، 6/125، 132.

(4) المصدر نفسه، 1/106.

(5) المصدر نفسه، 6/354.

(6) ابن ماجه، 2/1106-1107.

(7) البخاري، الصحيح، ص 1325، (ح: 6254).

الاحتمال بأن «فدك»⁽¹⁾، كانت من أماكن صناعة القطائف والفرش والستور.

والقطيفة ذات ألوان عدة، ومن بينها اللون الأحمر، وقد طُرح في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء⁽²⁾.

اللحاف،

وهو الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه⁽³⁾. وردت الإشارة إلى اللحاف كثيرًا في مصادر هذه الدراسة، وأكثر ما تكون الإشارة إليه في بيوت النبي ﷺ وأزواجه. فقد جاء عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يباشرني ... ويدخل معي في لحافي وأنا حائض⁽⁴⁾. وفي رواية أخرى لعائشة، أنها تنزر وهي حائض وتدخل مع رسول الله ﷺ في لحافه⁽⁵⁾. وتذكر أم سلمة أنها كانت مع رسول الله ﷺ في لحافه فوجدت ما تجد النساء، -أي: الحيض- فانسلت من اللحاف⁽⁶⁾. وعندما أكثر أم سلمة على رسول الله ﷺ بشأن عائشة، قال لها: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه ما أنزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»⁽⁷⁾.

وما يمكن الإشارة إليه أخيرًا هو أن المصادر التي أطنبت في الحديث

(1) «فدك»: قرية شرقي خيبر على وادٍ يذهب سبله مشرقًا إلى وادي الرّمة، تعرف اليوم بالحائط. انظر: البلاذري، ص 235.

(2) ابن ماجه، 521/12؛ الترمذي، 356/3.

(3) الأزهرى، 5/69 - 70.

(4) ابن حنبل، 6/113.

(5) ابن حنبل، 6/170؛ الدارمي، 1/260 - 261.

(6) الدارمي، 1/260؛ ابن ماجه، 1/209.

(7) البخاري، الصحيح، ص 772 - 773، (ح: 3775)؛ الترمذي، 5/704؛ وقارن ابن حنبل، 6/293.

عن اللحاف قد أغفلت المادة التي يصنع منها ذلك اللحاف أو الغطاء، وإن كان ليس من المستبعد أن يكون مصنوعاً من أصواف الغنم أو أوبار الإبل حيث توافرها بكثرة.

المِثَالُ:

والمِثَالُ الفراش، والجمع مُثْلٌ⁽¹⁾. وربما أُطلق على المِثَالُ مسمى النَّمَطِ، وهو ما يفتersh من مفارش الصوف الملونة⁽²⁾. على كل، يبدو أن المِثَالُ اسم من أسماء الفراش عامة، وإن اشترط أحد المصادر أن يكون من مفارش الصوف الملونة⁽³⁾. ويظهر كذلك أن تسمية الفراش بالمِثَالُ تسمية نادرة جداً إذ جاء عن عائشة أنها قالت: كنت إذا حَضْتُ نزلت عن المِثَالِ على الحَصِيرِ، فلم تقرب رسول الله ﷺ ولم ندن منه حتى نطهر⁽⁴⁾. هذه الرواية تبين بكل وضوح أن المِثَالُ ضرب من الفراش يكون عادة على السرير، وإلا فكيف يكون النزول عن المِثَالِ على الحَصِيرِ!

النَّمَطُ:

وهو «ضرب من البُسْط والجمع أنماط»⁽⁵⁾. وفي تعريف آخر للنمط: أنه من الثياب المصبغة وأنه ذو ألوان منها الحُمْرة والخُضرة والصفرة⁽⁶⁾.

(1) الجوهري، 5/1816.

(2) الأزهري، 15/97-98.

(3) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(4) أبو داود، 1/120، (ح: 271). هذه الرواية التي ذكرها أبو داود عن عائشة محل نظر إذ إن الروايات السابقة عن عائشة وأم سلمة تفيد أنهن كُنَّ يدخلن مع رسول الله ﷺ في فراشه وهن حَيَّضُ!!

(5) الفيروزآبادي، ص 892.

(6) الأزهري، 13/378؛ ابن منظور، 7/417.

إن المعلومات المتوافرة تكاد تجزم بأن المقصود بالنمط هنا، البساط وتذكر كذلك أن البساط، يكون فيه أحياناً تصاوير، وربما يكون مصنوعاً من الصوف⁽¹⁾.

وقد دخل رسول الله ﷺ على عائشة وقد سترت نمطاً فيه تصاوير فنحاه، فاتخذت منه وسادتين⁽²⁾. وعندما عاد رسول الله ﷺ من إحدى غزواته وجد عائشة قد اتخذت نمطاً فسترته على الباب، فجذبه رسول الله ﷺ وهتكه، وقال لها: «إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين»⁽³⁾.

إن موقف النبي ﷺ من النمط في هذه الروايات لا يخلو من احتمالين. الاحتمال الأول هو أن النمط كان مشتملاً على صور، ومعروف مسبقاً موقف النبي ﷺ من الصور - أي: صور ذوات الأرواح - والاحتمال الثاني أن النمط قد لا يكون مشتملاً على شيء من ذلك، بل ربما لجعل ستاراً من سُتُر الزينة التي تزين بها الجدران، وليس له وظيفة ضرورية كرد شمس أو حجب ناظر، لذلك فإن رسول الله ﷺ لم يكن يحبذ أن يضم بيته شيئاً من ذلك.

ب - ما يوضع على الأرض للاتكاء أو الجلوس:

تقدم مصادر البحث فئة ثانية من متاع البيت الذي يكون مكملًا لما سبق الحديث عنه، هذه الفئة تنحصر في ما يوضع على الأرض للاتكاء أو الجلوس. ومن أمثلة ذلك: المرفقة والمنبذة والنمرقة والوسادة.

(1) الأزهري، 15/ 97-98.

(2) مسلم، 3/ 1668.

(3) المصدر نفسه، 3/ 1666؛ وقارن أبو داود، 2/ 471.

المِرْفَقَةُ :

بالكسر، المتكأ والمَحْدَّةُ ... يقال: قد ارتفق إذا اتكأ على مرفقة⁽¹⁾.

يبدو أن المِرْفَقَةَ كانت من فرش البيت الأساسية في ذلك الحين حتى أنها تدخل ضمن ما تُجهز به العروس، فقد قال رسول الله ﷺ لأم سلمة حين تزوج بها: «أما إني لا أنقصك مما أعطيت أخواتك، رحين وجرة ومرفقة من آدم حشوها ليف»⁽²⁾. واشترت عائشة نمطاً فيه صورة ووضعته على سهوة بيتها، فلما رآه رسول الله ﷺ كرهه، فطرحته وقطعته وجعلت منه مرفقتين، قالت عائشة: فقد رأيته -أي: النبي- متكئاً على إحدهما وفيها صورة!⁽³⁾.

كما أن عمر بن الخطاب ذهب لزيارة النبي ﷺ وهو في مشربة له، فوجده على حصير، وتحت رأسه مرفقة من آدم حشوها ليف⁽⁴⁾. إنه مما يُلحظ أن المرفقة في كثير من الحالات تكون مصنوعة من الأدم (الجلد المدبوغ)، ويكون حشوها ليفاً، وقد يفهم أن اختيار الجلد لتحمله طول الاستعمال؛ ولكن ما الحكمة من الليف؟ أليس الصوف أكثر ملائمة وأكثر ليونة؟ يبدو أن استخدامه في المرفقة دليل على التواضع أو قلة ذات اليد، وربما أن الزهد في متاع الدنيا هو الباعث الأغلب على مثل هذا الاختيار.

الْمِنْبَذَةُ :

قرية الشبه بالمرفقة، وهي الوسادة سُميت منبذة؛ لأنها تنبذ بالأرض،

(1) ابن منظور، 119/10، مادة «رفق». انظر: الجوهري، 4/1482؛ الفيروزآبادي، ص 1145.

(2) ابن حنبل، 6/247.

(3) المصدر نفسه، والموضع نفسه.

(4) البخاري، الصحيح، ص 1252، (ح: 5843).

-أي: تطرح للجلوس عليها-، وفي حديث عدي بن حاتم، أنه لما أتى النبي ﷺ زائراً أمر له بمنبذة، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه...»⁽¹⁾. جاءت الإشارة إلى المنبذة كالعادة مقترنة بأحد بيوت النبي، فقد جاء عن عائشة أنها سترت سهوة بيتها بستر فيه تصاوير، فكرهه رسول الله ﷺ فجعلت منه منبذتين، وقد رأت رسول الله ﷺ متكئاً على إحداهما⁽²⁾.

يظهر مما سبق عدم التفريق بين مسمى المنبذة والوسادة، وقد اشتركا في الوظيفة نفسها، لذلك فإن الثعالبي يرى أن الوسادة اسم جامع للمنبذة وغيرها من الوسائد⁽³⁾. ويمكن القول أخيراً أن المنبذة تعمل من أي شيء متيسر، وأن ربات البيوت يقمن بصنعها، وأنها من لوازم البيوت التي تدعو الحاجة إليها.

النُمرقة،

وهي وسادة صغيرة وكذلك النُمرقة بالكسر، لغة .. وربما سمو الطنفسة التي فوق الرحل نُمرقة كما رُوي عن أبي عبيدة⁽⁴⁾. والنمرقة من فرش البيت ووسائده التي عرفتها بيوت النبي ﷺ، حدثت عائشة أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ، قام على باب البيت ولم يدخل، وسأل عائشة: «ما بال هذه النمرقة؟». قالت: اشتريتها لك، تقعد عليها وتوسدها⁽⁵⁾. وهكذا فالنمرقة هنا تُعد من فرش البيت

(1) الأزهرى، 14/ 442 - 443

(2) ابن ماجه، 2/ 1402.

(3) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: فاضل محمد وإميل يعقوب، ط1 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1413هـ/ 1993م)، ص 224.

(4) الجوهري، 4/ 1561، وانظر: الفيروزآبادي، ص 1196.

(5) مالك، ص 966؛ البخاري، الصحيح، ص 1270، (ح: 5961)؛ مسلم، 3/ 1669.

يُجْلِسُ عليها وتُوسد . وتذكر عائشة في مناسبة أخرى أنها جعلت على باب بيتها سترًا فيه تصاوير، فلما أقبل رسول الله ﷺ ليدخل هتكه، فأخذته عائشة فجعلت منه نمرة قتين، فكان رسول الله ﷺ يرفقهما⁽¹⁾.

هذه الرواية تبين أن النمرة شبيهة بالوسادة، فقد قالت عائشة: حشوت للنبي وسادة فيها تماثيل كأنها النمرة وأن رسول الله ﷺ كره ذلك⁽²⁾.

الوسادة:

المخدة، والجمع وسائد وُوسد. [وذكر ابن سيده وغيره]: «الوسادُ: المتكأ... ووسده إياه فتوسد إذا جعله تحت رأسه»⁽³⁾.

مما تقدم يتبين أن الوسادة تصلح أن تكون متكأً، وتكون وسادة تحت الرأس أي: مخدة. ولذلك يبدو أن الوسادة من المتاع الضروري وجوده في البيت.

وقد ذكرت عائشة أن وسادة رسول الله ﷺ التي ينام عليها بالليل كانت من آدم حشوها ليف⁽⁴⁾. ودخل أحد أصحاب رسول الله ﷺ عليه في بيته فوجده متكأً على وسادة⁽⁵⁾. وذكرت عائشة أنه دخل عليها النبي ﷺ وقد سترت نمطاً فيه تصاوير فنحاه، فاتخذت منه وسادتين⁽⁶⁾. والوسادة تدخل أيضاً ضمن ما تجهز به العروس، فقد جهز رسول الله

(1) ابن حنبل، 6/ 103.

(2) البخاري، الصحيح، ص 659-660، (ح: 3224).

(3) ابن منظور، 459/ 3، مادة «وسد»؛ وانظر: الفيروزآبادي، ص 415.

(4) أبو داود، 469/ 2، (ح: 4146).

(5) المصدر نفسه، الموضع نفسه، (ح: 4143).

(6) مسلم، 3/ 1666، 1668؛ وقارن أبو داود، 471/ 2، (ح: 4153).

ابنته فاطمة في خميل وقربة ووسادة حشوها إذرخر⁽¹⁾. والإذرخر نوع من النبات الصحراوي.

وهكذا يتضح من الروايات السابقة مدى أهمية الوسادة في بيت رسول الله ﷺ فهي للفراش وللجلوس وللاتكاء، وهي تدخل ضمن المتاع الذي يكون في بيت العروس. والوسادة تكون من الأدم ومن سائر الأنسجة، وتحشى بالليف كما تحشى بالإذرخر ويكون فيها صوراً وتمائيل وأحياناً لا يكون.

ج - ومما يتعلق بمتاع البيت وأثاثه، فئة ثالثة من أنواع الفرش، وهي ما يعلق على الجُدُر والأبواب، مثل: الدُرُنُوك والستر والسَّجَف والقِرَام ولا بد هنا من إلقاء الضوء على وظيفة كل من هذه العناصر.

الدُرُنُوك،

(جمعه) درانيك: «تكون ستوراً وفرشاً، والدرونك فيه الصُفْرة والخُضرة...»⁽²⁾.

وقد جاءت عدة روايات لأم المؤمنين عائشة تؤكد على استخدام الدرونك ستاراً، فذكرت في إحدى رواياتها؛ أن رسول الله ﷺ قدم ذات مرة من سفر ووجدها قد علقَت درنوگًا فيه تماثيل فأمرها بنزعه⁽³⁾. وقدم رسول الله ﷺ من سفر ذات مرة فوجد عائشة قد سترت على باب بيتها درنوگًا فيه صور الخيل ذوات الأجنحة، فأمرها بنزعه فترعته⁽⁴⁾.

(1) النسائي، 6/135؛ وقارن ابن ماجه، 2/1390.

(2) ابن منظور، 10/424، مادة «درنك».

(3) البخاري، الصحيح، ص 1269، (ح: 5955).

(4) ابن حنبل، 6/281؛ مسلم، 3/1667.

وفي موطن آخر قالت عائشة: إنها اتخذت درنوكة في الصور، فجاء رسول الله ﷺ فتهتكه⁽¹⁾.

وهكذا يتضح مما سبق أن الدرنوك نوع من أنواع البُسْط، وأنه يستخدم ستورًا كذلك، وأنه ذو ألوان وغالبًا ما يكون فيه صور. وأن عائشة في أكثر من مناسبة قد جعلت من الدرانيك ستورًا لباب بيتها.

السُّتُرُ:

«والجمع أستار وستور .. والسُّترة: ما يستتر به كائنًا ما كان، وكذلك الستارة، والجمع الستائر ..»⁽²⁾. ووردت إشارات كثيرة عن السُّتُر في مصادر هذه الدراسة، فقد جاء عن عائشة أنه كان لديها ستر فيه تمثال طائر وكان مستقبل البيت إذا دخل الداخل، فأمرها رسول الله ﷺ بتحويله عن موضعه لأنه يذكر رسول الله ﷺ بالدنيا⁽³⁾.

وفي مناسبة أخرى ذكرت عائشة، أنها نصبت سترًا فيه تصاوير فدخل رسول الله ﷺ فزعه، فقطعته وجعلت منه وسادتين⁽⁴⁾. من اللافت أن الستور التي ذكرنا بعضًا منها أنها كانت تحوي صورًا أو موشاة!! والمصادر التي تطرقت لتلك الستور لم تذكر شيئًا عن مكان صناعتها؛ وإذا كانت من صناعات المدينة فإن ذلك ربما يعطي انطباعًا جيدًا عن مستوى صناعة النسيج في المدينة على عهد رسول الله ﷺ.

(1) ابن حنبل، 85/6.

(2) انظر: الأزهرى، 12/381-382؛ الجوهري، 2/676؛ ابن منظور، 4/334-343، مادة «ستر».

(3) النسائي، 8/234؛ وانظر: مسلم، 3/1666.

(4) مسلم، 3/1668-1669؛ وانظر: النسائي، 8/214.

من أنواع الستور المعروفة في أيام الرسول ﷺ وكان مستعملاً في بيوته؛ «السَّجْفُ والسَّجْفُ: السَّجْفُ: جمعُه: سَجُوفٌ وأسجافٌ، والسَّجْفُ: السَّجْفُ: المقرونان بينهما فرجة أو كل باب ستر بسترين مقرونين..»⁽¹⁾.

وفي رواية ثانية، أن اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ ارتفعت أصواتهما في المسجد حتى سمعهما رسول الله ﷺ فخرج إليهما حتى كشف سجف حُجْرته .. (3). وأخيرًا، فإن الذي يمكن استخلاصه من هاتين الروايتين أن حُجْرة بيت رسول الله ﷺ التي يدخل منها إلى المسجد كان بابها عبارة عن ستارة ذات فلقتين، أي: سترين مقرونين، وكل شق منهما هو سجف أو سجاف.

وهو آخر تلك الستور التي تناولها الحديث هنا؛ «فهو الستر الرقيق .. والقوام ثوب من صوف فيه ألوان من العهن وهو صفيق

(3) البخاري، الصحيح، ص 544، (ح: 2710)؛ أبو داود، 3/ 328، (ح: 3595).

يتخذ سترًا...»⁽¹⁾. وقد وردت عدة إشارات عن وجود القرام في بيت النبي ﷺ، إذ سترت عائشة جانب بيتها بقرام، فطلب منها رسول الله ﷺ إزالته لأن تصاويره تعرض للنبي في صلاته⁽²⁾. وفي رواية أخرى أن عائشة قد سترت سهوة لها بقرام فيه تصاوير، فنزعه رسول الله⁽³⁾.

ومرة أخرى دخل النبي ﷺ على عائشة فوجد في البيت قرام فيه صور، فتناول الستر فهتكه⁽⁴⁾. وآخر روايات عائشة بهذا الخصوص أن رسول الله ﷺ دخل عليها فوجدها قد علقت قرامًا فيه صور الخيل أولات الأجنحة، قالت: فلما رآه، قال: «انزعيه»⁽⁵⁾.

وأخيرًا فإن وجود القرام في بيت رسول الله على هذا النحو يؤكد انتشار هذا النوع من الستور في مدينة الرسول ﷺ وربما في شبه جزيرة العرب عمومًا. وما دام القرام في أيام النبي ﷺ تكون فيه الصور والتماثيل والنقوش، فإن ذلك يدعو إلى التساؤل عن مصدره؟ أيصنع في مدينة الرسول وما حولها، أم يستورد مثل غيره من عروض التجارة القادمة إلى المدينة من مختلف الأصقاع؟.

في حقيقة الأمر إن المصادر المتاحة لا تقدم إجابة شافية عن هذا السؤال. إن مما يسترعى الانتباه أن جميع أنواع الستور تقريبًا.

(1) الأزهرى، 9/ 141؛ وانظر: التعريفات المختلفة للقرام كما جاءت لدى الجوهرى، 5/ 2009، وابن منظور، 12/ 474 مادة «قرم»؛ والفيروزآبادي، ص 182.

(2) البخاري، الصحيح، ص 1269، (ح: 5959).

(3) النسائي، 8/ 327؛ وانظر مسلم، 3/ 1667-1668.

(4) البخاري، الصحيح، ص 1296، (ح: 6109).

(5) النسائي، 8/ 213.

وكذلك المنابذ والوسائد والتمارق ونحوها التي تناولتها الدراسة كلها تتعلق ببيت عائشة، وأن هذا الضرب من الأثاث كان غالبًا لا يخلو من الصور والنقش، بينما يُلحظ أن مصادر الدراسة في الوقت نفسه لا تذكر شيئًا عن أثاث بقية بيوت أزواج النبي ﷺ إلا فيما ندر!! علمًا أنه من المحال أن تكون بيوت أزواج النبي ﷺ خلوا من هذه الأنواع من الأثاث، ولكن لعل وجود الصور والنقوش على هذا الضرب من الفرش والستور كان من الأسباب الوجيهة للإشارة إليها في مصادر السنة النبوية حيث إن ذلك يتعلق بموقف النبي ﷺ منها سواء من جهة الكراهية لأسباب دينية أو الرغبة في البعد عن الإسراف. وتعلق عائشة بهذه الأنواع من الفرش والستور ذوات الصور والنقوش ربما يعكس جانبًا من شخصيتها، إذ إنها كانت أصغر أزواج النبي ﷺ سنًا فلا غرابة في ميلها إلى هذه الأشياء، وتزول الغرابة إذا ما علمنا أن رسول الله ﷺ تزوج بها وهي طفلة ذات تسع سنين، فلا عجب إذا في ولعها بمثل تلك المقتنيات.

د - الأثاث المرتفع عن الأرض: مثل: الشُرُر، الكراسي والمناضد:

السُرير:

هو المضطجع، والجمع أسرة وسُرُر... والسُرير الذي يجلس عليه معروف⁽¹⁾. وقد احتوت مصادر الدراسة هنا على إشارات مختلفة عن السُرير في بيت رسول الله ﷺ. فقد جاء عن عائشة أنها قالت: لقد رأيتني مضطجعة على السُرير، فيجئ النبي ﷺ فيتوسط السُرير فيصلني⁽²⁾. وفي

(1) ابن منظور، 361/4، مادة «سُرر»، وانظر تفاصيل سميات السُرير المختلفة، لدى الثعالبي، ص 422.

(2) البخاري، الصحيح، ص 1330، (ح: 6276).

خبر تأخر جبريل عليه السلام عن ميعاده لرسول الله ﷺ، قال: «إن في البيت كلبًا ولا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»، وكان تحت سرير عائشة جرو كلب⁽¹⁾. وتشير عائشة مرة أخرى إلى ورقة موضوعة تحت السرير في بيتها وأن دُويبة دخلت فأكلتها⁽²⁾. وذكر أحد أصحاب رسول الله أنه دخل على النبي ﷺ في بيته فوجده على سرير مرمِل⁽³⁾ وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهره وجنبه⁽⁴⁾. ويظهر أن هذا السرير الذي تقدم وصفه هو السرير الذي سبق أن ذكره عمر بن الخطاب عند زيارته لرسول الله حين كان في مشربة عائشة. أما سرير الرسول ﷺ المشهور فتحدثنا عنه عائشة، قالت: «كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إليها من السرر تنام عليها، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل في منزل أبي أيوب، قال: يا أبا أيوب: أما لكم سرير؟ فقال: لا والله. فبلغ ذلك أسعد بن زُرارة، فبعث إلى رسول الله ﷺ بسرير له عمود من ساج ورملة من خزم -يعني المسد- فكان ينام عليه حتى تحول إلى منزلي»⁽⁵⁾.

ويظهر أن السرر ذات أحجام مختلفة، فقد زار رسول الله ﷺ زوجته زينب بنت جحش بعد هجر، فمشى إلى سرير زينب، وكان قد رُفِع، فوضعه بيده، ثم أصاب أهله ورضي عنهم⁽⁶⁾. ويبدو من هذه الرواية أن

(1) ابن حنبل، 6/ 142-143؛ وانظر: ابن ماجه، 2/ 1204.

(2) ابن حنبل، 6/ 269؛ بن ماجه، 1/ 626.

(3) مرمِل ورمال: وهو الذي ينسج في وجهه بالسعف وغيره، ويشد بشرط ونحوه، يقال من: أرملته، فهو مرمِل. انظر: ابن منظور، 11/ 295، مادة «رمل» وشبيه بهذا السرير ما هو موجود إلى الآن في جنوب المملكة واليمن ويسمى «القَعَادَة».

(4) مسلم، الصحيح، 4/ 1943-1944.

(5) حماد بن إسحاق بن إسماعيل، تركة النبي ﷺ، دراسة وتحقيق: أكرم ضياء العمري، ط1، 1404هـ (د.م. د. ت)، ص 104-105.

(6) ابن حنبل، 6/ 338.

السريـر كان صغير الحجم خفيف الوزن. وعندما كان يعتكف رسول الله ﷺ في المسجد كان يوضع له سريـر من جريد النخل يضطجع عليه⁽¹⁾.

وهكذا يتبين مما تقدم أن السريـر يكاد يكون شائع الاستعمال في أيام الرسول ﷺ فهو في بيوته وفي بيوت أصحابه، وهو يستخدم للنوم ويستخدم للجلوس عليه.

الكرسي،

من ضمن الأثاث الذي يرتفع عن الأرض، وفي تعريف الأزهري للكرسي جاء قوله: «الذي نعرفه عن الكرسي في اللغة: الشيء الذي يُعتمد عليه ويُجلس عليه»⁽²⁾. والكرسي معروف في أيام النبي ﷺ، فقد ورد عنه قوله: «اركبوا هذه الدواب سالمة ولا تتخذوها كراسي»⁽³⁾. ومن المحتمل أن الكرسي لم يكن شائع الاستعمال في أيام الرسول ﷺ أو على الأقل أن الإشارة إلى وجوده في بيوت النبي لم ترد سوى مرة واحدة، فقد جاء عنه ﷺ أن سبب امتناع جبريل عن دخول بيت النبي ﷺ هو وجود جرو للحسن تحت كرسي في البيت⁽⁴⁾.

ويبدو أن مسجد رسول الله ﷺ كان لا يخلو من وجود كرسي فيه، فقد ذكر أحد أصحاب رسول الله ﷺ أنه انتهى إلى النبي وهو يخطب فأقبل عليه وترك خطبته حتى انتهى إلى الصحابي، فأتي بكرسي قوائمه حديد، فقعده عليه رسول الله ﷺ⁽⁵⁾.

(1) السمهودي، وفاء الوفا، 2/ 63.

(2) الأزهري، 10/ 53؛ ابن منظور، 6/ 194.

(3) الدارمي، 2/ 371.

(4) ابن حنبل، 1/ 107.

(5) مسلم، 2/ 597؛ النسائي، 8/ 220. يقول صاحب الرواية «... فأتي بكرسي حسب قوائمه حديدًا».

الرواية السابقة تبين بوضوح أن الكرسي كان من ضمن الأثاث المعروف في أيام الرسول ﷺ، ولكن يظهر أن وجوده لم يكن أساسياً في البيوت، أو هذا على الأقل ما توحى به ندرة الإشارة إليه في مصادر الدراسة.

النَّضْدُ:

«السريـر يوضع عليه المتاع، والنضد شبه مشجب نُضِدَتْ عليه الثياب»⁽¹⁾. ويبدو أن المقصود بالنضد هنا شيء شبيه بالسريـر توضع عليه الثياب ومتاع البيت، والإشارة إليه في مصادر الدراسة قليلة جداً فلم ترد سوى مرة واحدة وبروايات مختلفة وسيكتفى منهن هنا بواحدة؛ قالت ميمونة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً، فقلت له: أي رسول الله، لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. فقال: «إن جبريل عليه السلام كان وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني، أما والله ما أخلفني» قالت: فظل يومه كذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت نضد لنا فأمر به فأخرج⁽²⁾.

إن ندرة الحديث عن النضد في مصادر الدراسة مع الاعتراف بأهميته لا يعني أن النضد لم يكن شائع الاستعمال في أيام رسول الله ﷺ. ويبدو أن المناسبة التي تدعو للإشارة إليه كانت نادرة، فلولا أن الأمر يتعلق بالوحي وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب لما جاء ذكر النضد على هذه الصورة.

(1) الجوهرى، 544/2؛ وقارن الأزهرى، 12/3-4؛ ابن منظور، 43/3؛ الفيروزآبادى، ص411.

(2) ابن حنبل، 2/305، 6/330؛ الترمذى، 5/115؛ النسائى، 7/186؛ انظر: مسرد الأثاث والمتاع والأنية والأوعية في ملحق (5).

ثانيًا، الآنية والأوعية⁽¹⁾،

إن بيوت النبي ﷺ مثلها مثل بيوت أهل المدينة لا بد أن يتوافر فيها ما لا بد منه من الآنية والأوعية التي تدعو الحاجة اليومية لاستعمالها، ومن ذلك مثلًا:

أ - آنية الطبخ، ومنها:

البرمة،

وهي قدر من حجارة⁽²⁾، وكانت البرمة من أواني الطهي المستخدمة في بيوت النبي ﷺ، وبيوت أهل المدينة عامة، وقد حَدَّثَتْ عائشة أن رسول الله ﷺ دخل عليها ذات يوم والبرمة على النار ... فقال: «ألم أر برمة على النار فيها لحم؟»⁽³⁾.

ويظهر أن البرمة كانت من أكثر آنية الطهي شيوعًا في ذلك الوقت، فقد جاء عن عائشة أنها كانت إذا مات الميت من أهلها ... أمرت ببرمة تليينه،

(1) إن الباحث في هذا الموضوع يواجه مشكلة التمييز بين معنى كل من الإناء والوعاء، إذ إن معاجم اللغة في معظمها لا تقدم تفسيرًا مقنعًا للفروق بين هذه المسميات. انظر: على سبيل المثال: الأزهرى، 15/ 555، مادة «أنى»، 3/ 259-260، مادة «وعى»؛ الجوهري، 6/ 2525، مادة «وعى».

أما ابن منظور، فإنه يعرف الإناء بقوله: «الإناء ممدود، واحد الآنية، معروف ... وجمعه آنية، والإناء الذي يرتفع به، وهو مشتق من ذلك لأنه بلغ أن يُعْمَلَ بما يعاني به من طبخ أو خبز أو نجارة، والجمع آنية وأوان»، 14/ 48، مادة «أنى». أما الوعاء عند ابن منظور، فهو: «الوعاء والإعاء على البدل، والوعاء كل ذلك ظرف الشيء والجمع أوعية»، 15/ 397، مادة «وعى»، وظرف الشيء كما جاء عن ابن منظور هو: «وعاؤه، والجمع ظروف، ومنه ظروف الأزمنة والأمكنة، والظرف وعاء كل شيء حتى أن الإبريق ظرف لما فيه»، 9/ 229، مادة «ظرف». مرفق في نهاية هذه الدراسة مجموعة من الرسومات للآنية والأوعية مستوحاة من أوصافها في مصادر التراث، انظر: ملحق (8) ص 119.

(2) ابن منظور، 2/ 45، مادة «برم».

(3) البخاري، الصحيح، ص 1145، (ح: 5279)؛ مسلم، 2/ 1144.

فطَبِخَتْ، ثم صُنِعَ ثريد فَصَبَّتْ التَلْبِينَةَ عليها⁽¹⁾. وفي رواية أن رسول الله ﷺ كان في بيت زوجته أم سلمة فأتته ابنته فاطمة ببرمة فيها خزيرة⁽²⁾.

القدر:

إن معاجم اللغة لا تسعف بتقديم صورة واضحة عن القدر وشكله ومادة صنعه، وكأنه شيء معروف، والمعروف عادة لا يُعرف. وكثيراً ما أشارت مصادر الدراسة إلى القدر وسيكتفى هنا بالقليل منها، فعندما حج رسول الله ﷺ نحر مئة بدنة، وأخذ من كل بدنة بضعة، فجمعت في قدر فأكل منها وحسا من مرقها⁽³⁾. وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ انتشل من قدر عظمًا فصلى ولم يتوضأ⁽⁴⁾. وكانت الجارية تأتي رسول الله بلحم الكتف من القدر فيأكل منها⁽⁵⁾. وشكى علي بن أبي طالب معاناة زوجته السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قائلاً: «وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها وأصابها في ذلك ضرر»⁽⁶⁾.

إن الحديث عن القدر في مصادر الدراسة كثيرٌ جدًّا، حتى يخيل للقارئ بأن القدر ليس شيئًا مخصوصًا بعينه، بل يكاد يكون كل ما يُطبخ فيه فهو قدر.

(1) البخاري، الصحيح، ص 1173، (ح: 5417)، والتلبينة: حساء يعمل من دقيق أو من نخالة ويجعل فيه عسل. سميت تلبينة تشبيهًا لها باللبن لبياضها ورقتها. انظر: الثعالبي، ص 239.

(2) ابن حنبل، 6/292؛ والخزيرة: الحساء من الدسم والدقيق .. والخزيرة هي أن تنصب القدر باللحم، يقطع صغارًا على ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق. علي بن إسماعيل الأندلسي ابن سيده، المخصص (بيروت: دار الأفاق الجديدة، د. ت)، 4/1، ص 145-146.

(3) ابن حنبل، 1/214؛ ابن ماجه، 2/1055.

(4) ابن حنبل، 1/254.

(5) المصدر نفسه، 1/230.

(6) أبو داود، 2/735-736؛ ابن حنبل، 1/153.

المرجل:

وهو القدر من الحجارة والنحاس خاصة... وقيل هي: كل ما طبخ فيها من قدر وغيرها⁽¹⁾. وهكذا يظهر أن المرجل يُصنع من مادة الحجارة أو النحاس، والغالب أنه يُصنع من النحاس خاصة، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن يكون ثمنه مرتفعاً، ولو أن المصادر لا تشير إلى ثمنه ولا مكان صناعته! قالت عائشة: ودخل عليّ رسول الله ﷺ والمرجل يفور باللحم، فقال: «من أين لك هذا؟»⁽²⁾.

ب - الآنية التي تستخدم في تقديم الطعام، مثل:

الجفنة:

وهي أعظم ما يكون من القصاع، وهي أكبرها⁽³⁾. ومصنوعة من الخشب⁽⁴⁾. وقد أتى النبي ﷺ بجفنة كثيرة الزبد والودك، فأقبل هو وأصحابه يأكلون منها⁽⁵⁾. وفي مناسبة أخرى أتى النبي ﷺ بجفنة، أو قال: قصعة من ثريد، فقال لأصحابه: «كلوا من حافاتها...»⁽⁶⁾. ويظهر أن بعض الجفان تكون

(1) ابن منظور، 11/ 274، مادة «رَجَل»؛ الفيروزآبادي، ص 1298.

(2) ابن حنبل، 6/ 180.

وللتوسع في التعرف على الآنية والأوعية المحصورة في فترة الدراسة راجع: محمد بن فارس الجليل، «الآنية والأوعية المستخدمة في العهد النبوي - دراسة مستمدة من كتب الحديث الشريف»، الرياض: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، 1415هـ/ 1994م، ص 62-193؛ وراجع كذلك محمد بن عبد الرحمن الثنيان، أسماء الأوعية الجلدية من خلال معجم لسان العرب لابن منظور. (دراسة دلالية وتأصيلية) (الرياض: كتاب الدارة، الكتاب الثامن، 1426هـ).

(3) ابن منظور، 13/ 589؛ الفيروزآبادي، ص 1531؛ وقارن الثعالبي، ص 236.

(4) الثعالبي، ص 236.

(5) ابن ماجه، 2/ 1089-1090.

(6) الدارمي، 2/ 137.

كبيرة جدًا لدرجة أنها تكفي الركب -أي: الجماعة من الناس-، ففي إحدى المناسبات، نادى رسول الله ﷺ الصحابي جابر بن عبد الله وقال: «يا جابر ناد بجفنة»، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تُحمل، فوضعتها بين يديه⁽¹⁾.

وربما استخدمت الجفنة لأكثر من غرض، فهي ليست موقوفة على الطعام دون سواه، ونظرًا لكبر حجمها قد تستخدم للاغتسال، فقد قامت إحدى نساء النبي فاغتسلت في جفنة من الجنابة، ثم إن رسول الله ﷺ قام إلى فضلها يستحم⁽²⁾.

الصَّحْفَةُ:

من ضمن الآنية التي يقدم فيها الطعام، وهي: شبه قصعة ... عريضة تشبع الخمسة ونحوهم، والجمع صحاف⁽³⁾.

والصحفة من الآنية المتداولة في بيوت رسول الله ﷺ، من ذلك ما جاء عن أم سلمة زوج رسول الله: أنها أتت بطعام في صحفة إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه، وهم في بيت عائشة فجاءت عائشة ومعها فهر، ففلقت به الصحفة، فجمع رسول الله بين فلقتيها، وقال: «كلوا غارت أمكم»⁽⁴⁾.

وفي رواية عن أم هانئ بنت أبي طالب، أنها دخلت على رسول الله ﷺ يوم الفتح -أي: فتح مكة سنة (8هـ/629م)- وهو في قبة له فوجده قد اغتسل بماء صحفة فيها أثر العجين⁽⁵⁾.

(1) مسلم، 4/2308.

(2) الدارمي، 1/203.

(3) ابن منظور، 9/187؛ الفيروزآبادي، ص 1067؛ الجوهرى، 4/1384؛ وقارن الثعالبي، ص 236.

(4) النسائي، 7/70-71؛ وقارن الدارمي، 2/343. والمقصود بالفهر هنا حجرٌ ملء الكف أي: كف اليد.

(5) ابن حنبل، 6/341.

وأخيرًا فإن الذي يمكن استنتاجه هو أن الصفحة تُتخذ من الخشب⁽¹⁾. وذات استخدامات شتى، فهي مرة للطعام، ومرة للعجين ومرة للاغتسال والوضوء ونحو ذلك.

القَصْعَةُ

هي الضخمة، تشيع العشرة، والجمع قصاع⁽²⁾، وهي تتخذ من الخشب⁽³⁾. وجاء في رواية أن بعض أزواج النبي ﷺ أهدت له طعامًا في قصعة، فضربت عائشة القصعة بيدها، فألقت ما فيها، فقال النبي ﷺ: «طعام بطعام، وإناء بإناء»⁽⁴⁾. ويبدو أن بعض القصاع كبيرة جدًا، فقد كان لرسول الله قصعة يقال لها «الغراء» يحملها أربعة رجال⁽⁵⁾.

الذي يمكن استنتاجه من الروايات السابقة أن الصفحة والجفنة والقصعة من أصل واحد وهو الخشب، وأنها متقاربة الشكل، ولكنها تختلف من حيث الحجم، ولذلك جاءت التسميات مختلفة باختلاف الأحجام لا باختلاف الجوهر.

ج - الأنية، التي تقدم فيها بعض الثمار، والأطعمة الجافة، مثل:

الطَبِيقُ

والطبق هو الذي يؤكل عليه، أو فيه والجمع أطباق⁽⁶⁾. وجاء في

(1) الثعالبي، ص 236.

(2) ابن منظور، 8/ 274، مادة «قصع»، الجوهرى، 2/ 1266.

(3) الثعالبي، ص 236.

(4) الثعالبي، 3/ 261؛ وقارن ابن ماجه، 2/ 782؛ النسائي، 7/ 71.

(5) أبو داود، 2/ 376.

(6) ابن منظور، 10/ 209-210، مادة «طبق»؛ الفيروزآبادي، ص 1165.

رواية أن أزواج النبي ﷺ كن يتهادين الجراد على الأطباق⁽¹⁾. ومن الأطباق ما يصلح أن يكون دُفًا، قال رسول الله ﷺ لعائشة: «هذه قينة بني فلان. تُحيين أن تغنيك؟» قالت: نعم. فأعطاها طبقًا فغنتها⁽²⁾. يفهم مما تقدم أن الطبق من الآنية التي يؤكل فيها وخاصة بعض الأطعمة الجافة كالتمر أو الجراد والفاكهة ونحوها. أما الطبق الذي استُخدم مصاحبًا للغناء فلا بد أن يكون مصنوعًا من المعدن حتى يكون له صوت ظاهر.

القنْع والقنَاعُ

هو الطبق يُصنع من عُسب النخل، يوضع فيه الطعام والجمع أقناع وأقنعة، وفي معرض تعريف ابن منظور بوظائف القنْع ذكر منها وجوهاً عدة؛ فقال: الذي يؤكل عليه الطعام، وتجعل فيه الفاكهة، وقيل: القناع طبق الرُّطب خاصة، وقيل: القنْع الذي تؤكل فيه الفاكهة وغيرها⁽³⁾. وعندما قدم بعض الضيوف، لم يجدوا رسول الله ﷺ في بيته، أمرت لهم عائشة بطعام، قال: وأتينا بقناع.. والقناع الطبق فيه تمر...⁽⁴⁾.

وهكذا يتضح أن القنْع أو القناع، يختلف عن الصحيفة والجفنة والقصة، فالأواني الثلاثة الأخيرة تصنع من الخشب، وتستخدم في غالب الأحوال في تقديم الأطعمة الساخنة، إضافة إلى بعض الاستخدامات الأخرى. أما الطبق وكذلك القناع، فتصنع في الغالب من عُسب النخل، وتستخدم في تقديم التمور والفواكه، وكذلك الجراد وما شابه ذلك. ويظهر أن الطبق أو القناع ما هي إلا مسميات لشيء واحد

(1) ابن ماجه، 2/ 1073.

(2) ابن حنبل، 3/ 449.

(3) ابن منظور، 8/ 301، مادة «قنْع».

(4) أبو داود، 1/ 82-83.

كما تدل على ذلك صفتها. وربما اختلف عنهما الطبق الذي يقوم مقام الدف في الغناء.

د - الأنية والأوعية الخاصة بالأشربة والسوائل مثل:

التَّور⁽¹⁾؛

جاء عند ابن منظور، أن التور إناء. وجاء في رواية عن عائشة؛ أنها كانت ورسول الله ﷺ يغتسلان في تور من شبه - أي: من الصفر -⁽²⁾. وكان يُنبذ لرسول الله في تور من حجارة⁽³⁾. وفي رواية عن عائشة قد تساعد على تصور حجم التور، قالت: رأيتني أغتسل أنا ورسول الله ﷺ - من هذا-، فإذا تور موضوع، مثل الصاع أو دونه- فنشرع فيه جميعاً⁽⁴⁾.

يتبين مما سبق أن التور من الأنية المستخدمة في بيوت رسول الله ﷺ، وأنه كان يستعمل في أغراض شتى، قد يكون الشرب من بينها، فهو يستخدم في شؤون الطهارة كالوضوء والغسل، كما يستخدم في تحضير بعض الأشربة كالنيذ مثلاً. ويصنع التور من مواد شتى كالحجارة والنحاس، وأن بعض أحجامه على قدر الصاع تقريباً.

الجرّة؛

«إناء من خزف، كالفخار، وجمعها جرّ، وجرار، والخزف هو ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً»⁽⁵⁾. وفي مناسبة زواج رسول الله ﷺ

(1) انظر: ابن منظور، 4/ 96، مادة «تور»؛ الفيروزآبادي، ص 456.

(2) أبو داود، 12/ 72.

(3) ابن ماجه، 2/ 1126؛ وقارن الدارمي، 2/ 157.

(4) النسائي، 1/ 203.

(5) ابن منظور، 4/ 131، مادة «جرر».

من أم سلمة، قال لها: «أما إني لا أنقصك شيئاً مما أعطيت أختك فلانة: رحيين وجرتين»⁽¹⁾. وكذلك لما زُفّت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب كان من ضمن ما جهزها به والدها جرتان⁽²⁾. ولم تفصح الروايات السابقة عن أوجه استخدام الجرة، لكن لا بد أن لها أوجه استخدام كثيرة مثل حفظ السمن⁽³⁾، وبقية السوائل، ونظراً لأهميتها فقد أصبحت جزءاً مما تُجهز به العروس.

وهي من الأوعية التي لا غنى عنها بالنسبة لمعظم البيوت في ذلك الوقت.

الرَّكُوعُ،

وهي شبه تور من آدم، إناء من جلد يشرب فيه الماء⁽⁴⁾. وتُعدُّ الركوة من أصغر أوعية الماء التي يسافر بها⁽⁵⁾. وأشارت عائشة إلى أنه كان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو عُلبة فيها ماء ... يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه⁽⁶⁾. وجاء عن أبي هريرة قوله: كان النبي ﷺ إذا أتى الخلاء أتيته بماء في تور أو ركوة فاستنجد⁽⁷⁾.

الروايات المتقدمة تفيد بأن الركوة من جلد وأنها صغيرة الحجم وأنها تستخدم في الوضوء في غالب الأحيان أكثر من استخدامها إناء

(1) ابن حنبل، 6/314.

(2) المصدر نفسه، 1/104، 105.

(3) المصدر نفسه، 3/342.

(4) ابن منظور، 14/333، مادة «ركى»؛ وقارن الجوهري، 6/2361، وتفتح الراء في ركوة وتكسر وتضم.

(5) الثعالبي، ص234.

(6) البخاري، الصحيح، ص1374، (ح: 6510).

(7) أبو داود، 1/59.

للشرب. ولا يستبعد أن الركوة من صناعات المدينة، حيث أنها تتخذ من الجلد ويحتمل أنها كانت رخيصة الثمن كذلك.

العُسْ،

وهو القدح الضخم، وهو إلى الطول، يروي الثلاثة والأربعة والعدة ... والجمع عُساس وعسسه⁽¹⁾. والعُس من جنس الأقداح وهو من حيث الترتيب أكبرها ويصنع من الخشب⁽²⁾. وهو من الآنية المستعملة في بيوت النبي ﷺ، روى أحد الصحابة أن رسول الله ﷺ، قال: «يا عائشة اسقينا» فجاءت بعُس من لبن فشربنا⁽³⁾. وفي رواية عن ابن عباس، قال: فأتي النبي ﷺ ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار بعساس فيها النبيذ⁽⁴⁾.

وهكذا فالعُس من أكبر الأقداح ويستخدم في مختلف الأشربة كاللبن والماء والنبيذ وغير ذلك.

الْقَدَحُ،

من الآنية المستخدمة في الأشربة، «وقيل هو اسم يجمع صغارها وكبارها، والجمع أقداح»⁽⁵⁾. وكان لرسول الله ﷺ قدح قوارير يشرب فيه⁽⁶⁾. والمقصود بالقوارير هنا الزجاج. وجاء وصف قدح النبي ﷺ الذي احتفظ به خادمه أنس بن مالك، قال: وكان قد انصدع، فسلسل بفضة،

(1) ابن منظور، 6/ 140؛ الجوهري، 3/ 349؛ الفيروز آبادي، ص 719.

(2) الثعالبي، ص 235.

(3) أبو داود، 2/ 729.

(4) ابن حنبل، 1/ 336.

(5) ابن منظور، 2/ 554؛ الفيروز آبادي، ص 301؛ وانظر: الثعالبي، ص 235.

(6) ابن ماجه، 2/ 1136.

وهو قدح جيد عريض من نضار، وكان فيه حلقة من حديد⁽¹⁾. وكان لدى رسول الله ﷺ وهو يعاني سكرات الموت قدح فيه ماء، فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه في الماء⁽²⁾. وجاء في رواية أنه كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت السرير⁽³⁾. وفي رواية أخرى يبول فيه بالليل⁽⁴⁾. وبالجمل، فإن القدح يُتخذ من الزجاج كما يُتخذ من الخشب الجيد، أو من جذوع النخل ويستخدم في أغراض شتى من الأشربة كما تستخدم بعض الأقداح أوعية للبول في بعض الحالات الخاصة. ويضاف إلى ما سبق مجموعة أخرى مختلفة وظيفيًا بعض الشيء، وهي آنية وأوعية السوائل والمائعات، ومن تلك الأوعية.

السَّقاء:

وهو جلد السخلة إذا أجدع، ولا يكون إلا للماء، وقيل إن السقاء يكون للبن والماء⁽⁵⁾. وفي توجيهات النبي ﷺ بخصوص السقاء ما يدل على حرصه على نظافته. وكذلك صحة استخدامه، فقد نهى ﷺ عن الشرب من فم السقاء⁽⁶⁾. وقال في مناسبة أخرى موجهًا أصحابه لأخذ احتياطات السلامة الواجبة: «أغلقوا الباب وأوكلوا السقاء»⁽⁷⁾. وكان السقاء يستخدم

(1) البخاري، الصحيح، ص 1213، (ح: 5638)، النُّضار والنُّضار: لغتان، الأول أعرف وهو أجود الخشب للآنية، يعمل منه ما رُق من الأقداح وما غلظ ولا يحتمله من الخشب غيره. ابن منظور، 213/5 - 214، مادة «نضر».

(2) ابن ماجه، 1/519، الترمذي، 299/3.

(3) النسائي، 1/31. عيدان بفتح العين، قدح من خشب ينقر ليحفظ ما فيه، والعيدان هنا هو عيدان النخل، أي: طوال النخل، انظر: النسائي، 1/31 «الحاشية».

(4) أبو داود، 1/53.

(5) ابن منظور، 14/392، مادة «سقى».

(6) الدارمي، 2/160.

(7) الترمذي، 4/263.

كذلك للالتباز، قالت عائشة: كنا ننبذ لرسول الله ﷺ في سقاء... ننبذه غدوة فيشربه عشاء⁽¹⁾. وربما استخدم السقاء وعاءً للسمن⁽²⁾. ولعل من الطريف أن الشواهد التي عُثِرَ عليها فيما يخص السقاء أنها لم تنطرق إلى الماء، أو اللبن، بل تكاد تجمع على أن السقاء يكاد يكون للنبيذ خاصة، أو السمن.

الشن:

«والشن والشنّة الخَلِقُ من كل أنية صنعت من جلد، وجمعها شنان، والشن القرية الخَلِقُ والشنّة أيضًا»⁽³⁾. ومن صفة الشنان، أنها أشد تبريدًا للماء من الجُدد⁽⁴⁾. وفي حديث ابن عباس عن وضوء رسول الله ﷺ أنه قام من الليل فتوضأ من شنة⁽⁵⁾.

والشن لا يستخدم للماء فحسب، ولكن يستخدم في عمل النبيذ أيضًا⁽⁶⁾. ومن المؤكد أن بيوت المدينة بما فيها بيوت رسول الله ﷺ كانت لا تخلو من الشنان، لأن الشن من أوعية الماء المفضلة، حيث أن برودة الماء فيها أسرع من السقاء الجديد.

القرية:

وهي المخروزة من جانب واحد، والقرية ما يُسقى فيه الماء⁽⁷⁾. والقرية من أوعية الماء وتتخذ من الجلد. وقد جاء التوجيه النبوي

(1) مسلم، 3/1590؛ وانظر: ابن ماجه، 2/1126؛ الترمذي، 4/296.

(2) البخاري، الصحيح، ص 329، (ح: 1982).

(3) ابن منظور، 13/241، مادة «شن».

(4) ابن الأثير، النهاية، 2/506.

(5) ابن ماجه، 1/147؛ 1/433.

(6) الدارمي، 2/157.

(7) ابن منظور، 1/668؛ الفيروز آبادي، ص 159؛ وقارن الجوهري، 1/199.

بحفظ القَرَب وصيانتها، فقد روي عنه ﷺ قوله: «وأوكوا قريبكم واذكروا اسم الله»⁽¹⁾.

ولما اشتد مرض رسول الله ﷺ قال: «هريقوا عليَّ من سبع قَرَب»⁽²⁾. ونظرًا لما للقربة من أهمية في أثاث البيت، فقد كانت ضمن جهاز فاطمة بنت رسول الله ﷺ حين زُفت إلى علي بن أبي طالب⁽³⁾.

الطَّسْتُ:

الطَّسْتُ، من آنية الصفر⁽⁴⁾، ويحتمل أن أصله فارسي معرب⁽⁵⁾، والطست من الآنية المستخدمة في بيوت الرسول ﷺ فحينما تحدثت عائشة عن معاناة الرسول ﷺ لسكرات الموت، دعا بالطست ليبول فيها⁽⁶⁾. وتحدثنا عائشة عن بعض أزواج النبي أنها كانت مستحاضة، فربما وضعت الطست تحتها من الدم⁽⁷⁾. وهكذا فالطست من الأوعية التي تستخدم في شؤون النظافة والطهارة وفي بعض الأحوال الخاصة يستخدم وعاءً للتبول.

المِخْضَبُ:

المِخْضَبُ، بالكسر شبه الإِجَّانَة، يغسل فيها الثياب⁽⁸⁾. وترد الإشارة

(1) البخاري، الصحيح، ص 1211، (ح: 5623).

(2) البخاري، الصحيح، ص 47، (ح: 198).

(3) ابن ماجه، 2/ 1390.

(4) ابن منظور، 2/ 58.

(5) موهوب بن أحمد الجواليقي، المُعَرَّب، تحقيق: ف. عبد الرحيم، ط 1 (دمشق: دار القلم، 1410هـ)، ص 437.

(6) النسائي، 1/ 32، 6/ 241.

(7) البخاري، الصحيح، ص 66-67، (ح: 309).

(8) ابن منظور، 1/ 395، مادة «خضب».

إلى وجود المخضب في بيوت رسول الله ﷺ في عدة مناسبات، ففي فترة مرضه، قال لأهله: «أصلى الناس؟» قالوا: هم ينتظرونك. قال: «ضعوا لي ماء في المخضب»⁽¹⁾.

وكان عند زينب بنت جحش مخضب من صفر، وكانت ترجل رأس رسول الله ﷺ فيه⁽²⁾. وحين اشتد وجعه في مرضه الأخير أجلس في مخضب لحفصة زوج رسول الله ﷺ، وطفقوا يصبون عليه الماء⁽³⁾. يتبين من الرواية الأخيرة أن المخضب يأتي على أحجام مختلفة فمنها ما يتسع للإنسان أن يجلس فيه.

المركن:

من الأوعية ذات الاستخدامات المنزلية المختلفة وهو عبارة عن شبه تور من آدم أو شبه لقن⁽⁴⁾، وقيل: المكن الإجانة التي تغسل فيها الثياب⁽⁵⁾. وربما يتخذ المكن من الخزف⁽⁶⁾. وكانت بعض بيوت النبي ﷺ لا تخلو من المكن، فقد كانت أم سلمة تغتسل مع زوجها رسول الله ﷺ من مكن واحد⁽⁷⁾. وكانت أم حبيبة بنت جحش مستحاضة فكانت تقعد في مكن لأختها زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ حتى أن حمرة الدم لتعلو الماء⁽⁸⁾.

(1) مسلم، 1/311؛ الدارمي، 1/320.

(2) ابن ماجه، 1/160.

(3) البخاري، الصحيح، ص 47 (ح: 198).

(4) اللقن: شبه طست من صفر. ابن منظور، 13/390، مادة «لقن».

(5) الأزهرى، 10/190؛ الجوهرى، 5/2126.

(6) الثعالبي، ص 235.

(7) النسائي، 1/129-130.

(8) ابن ماجه، 1/205؛ وانظر مسلم، 1/263.

يتبين من الروايات السابقة أن المِركَن ربما كان من الآنية التي تستخدم للاستحمام، كحوض الاستحمام في أيامنا هذه مع فارق الحجم: وكان يستخدم لغسل الملابس كذلك.

هـ - الآلات والأدوات:

هنا بعض الآلات والأدوات التي لا تدخل ضمن الآنية والأوعية ولكن الحاجة تدعو إليها: واستعملت في معظم بيوت أهل المدينة وغيرهم ومنها:

الرَّحَى:

«هي الحجر العظيم، وهي التي يُطْحَنُ بها»⁽¹⁾. وقد كانت الرحى من ضمن ما قدمه رسول الله ﷺ من متاع عند زواجه من أم سلمة⁽²⁾. وفي مناسبة زواج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، كان من بين ما جهزها به رسول الله من متاع البيت، رحيان⁽³⁾. وكانت فاطمة كثيرة الشكوى مما تلاقي من الطحن بالرَّحَى⁽⁴⁾.

وعندما انتقل رسول الله ﷺ بأم سلمه إلى بيت زينب بنت خزيمة، وذلك بعد وفاتها، كانت الرَّحَى من ضمن موجودات البيت⁽⁵⁾.

المِضْبَاحُ:

أي: السراج؛ كان من الأدوات التي تحتاجها معظم البيوت في

(1) ابن منظور، 312/9، مادة «رحا».

(2) ابن حنبل، 314/6.

(3) المصدر نفسه، 104/1، 105.

(4) البخاري، الصحيح، ص 632، (ح: 3113).

(5) ابن سعد، 92/8.

عصر الرسول ﷺ، لذلك فقد كانت توجيهات النبي بخصوص إطفاء السراج عند النوم واضحة، قال ﷺ: «أغلق بابك وأطفئ مصباحك»⁽¹⁾. وفي توجيه له أكثر وضوحًا، قال: «وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة - الفارة - ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت»⁽²⁾.

ومن المفارقات أن النبي ﷺ الذي يوجه أمته لأخذ الاحتياطات اللازم عند استعمال المصباح، والتأكيد على إطفائه عند النوم خشية نشوب الحريق، أن يبوته، أو على الأقل بيت عائشة لم يكن فيه مصباح! قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح⁽³⁾. وفي مناسبة أخرى ذكرت عائشة، أن والدها أبا بكر أرسل لهم رجل شاة، فأخذت في تقطيعها مع رسول الله في ظلمة البيت فقيل لها: أما لكم مصباح؟ قالت: لو كان لنا مصباح لأتدمننا به. وفي لفظ آخر قيل لها: أما لكم سراج؟ قالت: لو كان لنا ما يُسرجُ به أكلناه⁽⁴⁾. على العموم يظهر أن هذا الوضع لم يستمر طويلًا، فقد جاء في رواية لعائشة أن النبي كان لا يقعد في بيت مظلم حتى يضاء له بالسراج - أي: المصباح -⁽⁵⁾. وفي الليلة التي سبقت وفاة رسول الله ﷺ أرسلت عائشة إلى إحدى جاراتها بسراجها تطلب منها أن تضع فيه شيء من السمن للاستضاءة به⁽⁶⁾.

(1) البخاري، الصحيح، ص 669، (ح: 3280)، وقارن الترمذي، 4/ 263.

(2) المصدر نفسه، ص 675، (ح: 3316).

(3) المصدر نفسه، ص 84، (ح: 382)، مالك، ص 117، مسلم، 1/ 367. من الواضح أن أم المؤمنين تشير هنا إلى صلاة رسول الله ﷺ صلاة نافلة في بيته في أثناء الليل.

(4) ابن سعد، 1/ 405؛ ابن حنبل، 6/ 94، 217.

(5) المصدر نفسه، 1/ 383.

(6) المصدر نفسه، 2/ 239.

والسؤال هنا كيف يأتدُمون المصباح، أو يأكلون ما يُسرج به؟ لعل ما جاء عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ بخصوص المصباح ما يجيب عن التساؤل السابق. قالت فاطمة لعلي بن أبي طالب: إن ابني أمسيا عليين، فلو نظرت لنا آدمًا نستصبح به، فخرج إلى السوق، فاشترى لهم آدمًا وجاء به إلى فاطمة، فاستصباح به فدخلت عائشة إلى المخرج⁽¹⁾ في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم⁽²⁾.

ربما أن المقصود بالأدام الذي أشارت إليه فاطمة، هو الشحم، فقد جاء في حديث جابر في شحوم الميتة، «ويستصبح بها الناس»، أي: يشعلون بها سرجهم⁽³⁾. وربما أن المقصود بالأدم هنا الزيت يستخدم للإضاءة.

واللافت في الأمر أن الناس على عهد رسول الله ﷺ كانوا لا يعدمون المصابيح بل تكاد أن تكون شائعة في المدينة، وإلا فما جدوى تحذير النبي ﷺ من خطر ترك المصباح مضيئًا في أثناء النوم!

ولعل الشواهد على شيوع المصابيح في ذلك العصر أن عبد الله بن رواحة أحد أصحاب رسول الله ﷺ قدم من سفره ليلاً، فإذا في بيته مصباح، وإذا مع امرأته شيء... فقالت له: لا تعجل فلانة تمشطني⁽⁴⁾. ثم إن النبي ﷺ رأى في بيت الزبير مصباحًا - وذلك ليلاً - فقال: «يا

(1) المخرج: لم أعثر على تفسير لمعنى المخرج، ولكنه ورد عند السهودي بمعنى بيت الخلاء. انظر: السهودي، وفاء، 2/ 207.

(2) السهودي، وفاء، 2/ 207.

(3) أبو داود، 2/ 301-302؛ النسائي، 7/ 309؛ انظر: ابن منظور، 2/ 506، مادة «صبح».

(4) ابن حنبل، 6/ 451.

عائشة ما أرى أسماء إلا قد نفست» -أي: ولدت-⁽¹⁾. وكانت النساء بالمدينة يستعنّ بالمصاييح من جوف الليل ينظرن إلى الطُّهْر⁽²⁾ -أي: الطُّهْرُ من الطمث-.

الْمُنْخَلُ:

المنخل هو آخر ما يشار إليه هنا من متاع البيت؛ حيث إنه يُنْخَلُ به الدقيق⁽³⁾؛ لذلك فهو يُعَدُّ من الأدوات التي لا يُسْتَغْنَى عنها في البيوت. وعلى الرغم من ذلك فقد جاء عند البخاري أن رسول الله ﷺ ما رأى منخلًا من حين ابتعثه الله، حتى قبضه. ولما سُئِلَ الراوي كيف كنتم تأكلون الشعير قال: كنا نطحنه وننفخه⁽⁴⁾. وفي شهادة لعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ ما رأى منخلًا ولا أكل خبزًا منخولًا منذ بعثه الله إلى أن قبضه⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من الاحتمال القوي في صدق هذه الروايات إلا أنه جاء في أحد المصادر التي تحدثت عن زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة، أن المنخل كان من ضمن محتويات منزل علي في ليلة الزفاف⁽⁶⁾. لذلك فإن خلو بيوت النبي من المنخل ربما بسبب التواضع وشكر النعمة، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود المناخل في بيوت بعض أقربائه، بل وعامة بيوت المدينة.

(1) الترمذي، 5/ 681.

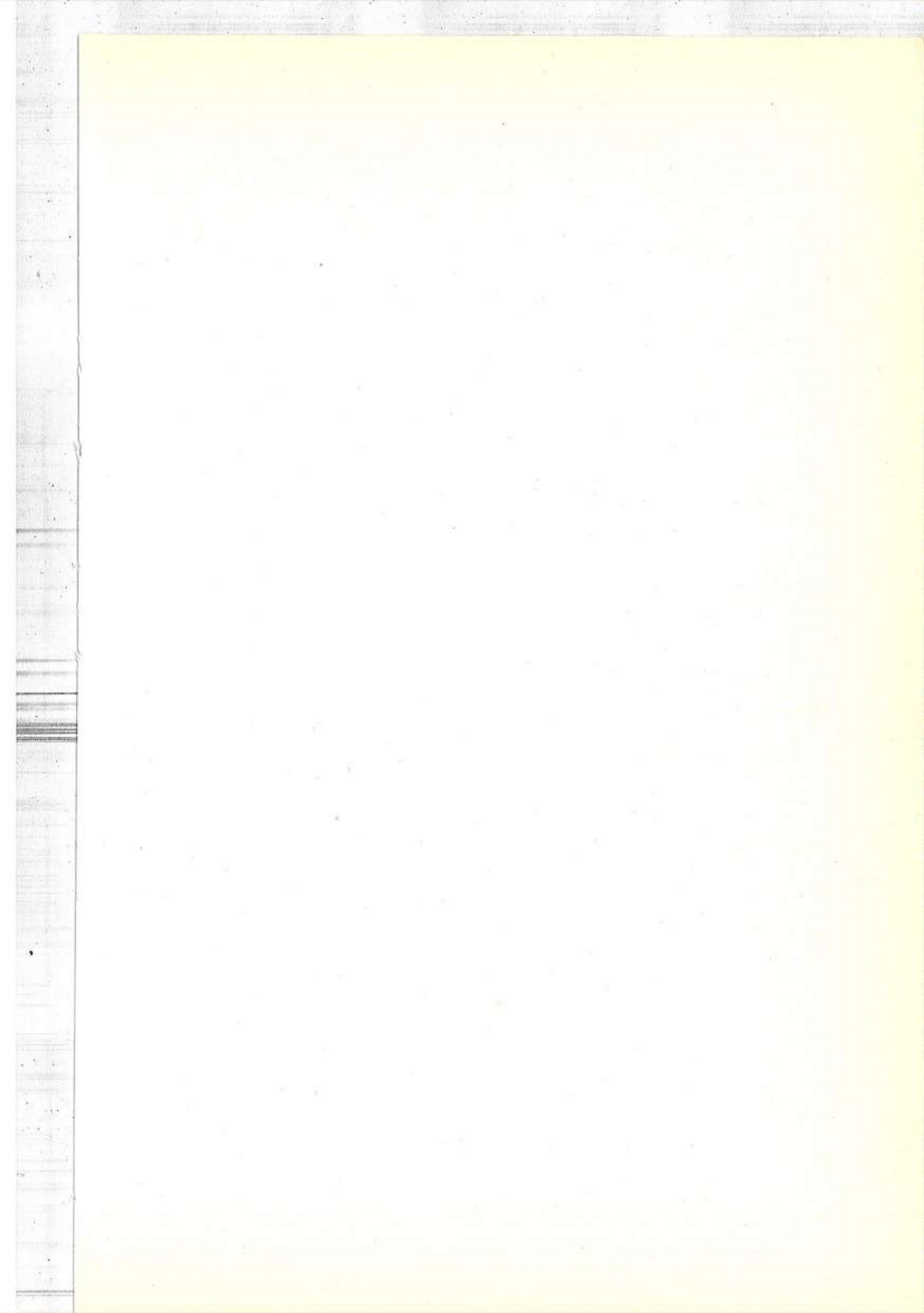
(2) مالك، ص 59؛ البخاري، الصحيح، ص 69.

(3) الأزهرى، 7/ 392.

(4) البخاري، الصحيح، ص 1172، (ح: 5413)؛ الترمذي، 4/ 581؛ ابن ماجه، 2/ 1107.

(5) ابن حنبل، 5/ 332، 6/ 71.

(6) ابن سعد، 8/ 24.



معاش النبي ﷺ وأزواجه

من أجل إعطاء صورة تقريبية عن المعاش في بيوت النبي ﷺ، أحسب أنه من الضروري تزويد القارئ بلمحة موجزة عن معاش النبي ﷺ وأزواجه، أي: ماذا كانوا يأكلون؟ وماذا يشربون، وهل كانوا في بحبوحة من العيش وسعة من الرزق؟ أم كان الحال على الضد من ذلك؟.

تُقدم لنا أم المؤمنين عائشة، بضع روايات تصور مدى ضيق العيش الذي كان يعانيه آل محمد ﷺ؛ فقالت: ما شبع محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرٍ ثلاث ليالٍ حتى قُبِضَ⁽¹⁾. وفي رواية أخرى عن عائشة: ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر⁽²⁾. وفي مناسبة أخرى حَدَّثَتْ عائشة ابن أختها عروة بن الزبير عن مبلغ معاناة آل النبي ﷺ المعاشية، فقالت: «إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في آيات رسول الله نار». فيسألها عروة: ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقيننا»⁽³⁾.

واللافت للنظر في روايات ضيق معاش آل محمد ﷺ أنها تأتي من

(1) البخاري، الصحيح، ص 1364، (ح: 645).

(2) المصدر نفسه، ص 1364، (ح: 6455).

(3) المصدر نفسه، ص 510، (ح: 2567)، ص 1365، (ح: 6459).

مصدر واحد تقريباً أي: عائشة، وفي الوقت نفسه لم نسمع شيئاً من بقية أزواج النبي وعن شطف العيش الذي كُنْ يعانينه؟!

وعلى العموم، إذا تركنا الإجابة عن هذا السؤال مؤقتاً، فإن السؤال الذي يليه هو ماذا كانوا يأكلون؟ أي: ما نوع الأطعمة المتوافرة لآل بيت الرسول؟ من استقراء بعض المصادر التي حفظت بعض صور معاش آل النبي ﷺ في ذلك العصر. يمكن معرفة بعض أنواع الأطعمة التي كان يأكلها رسول الله ﷺ وأهل بيته:

أ - الأطعمة:

وهي أطعمة قليلة التنوع نسبياً ومنها:

التمر:

يأتي على رأس قائمة الأطعمة التي عرفتها بيوت رسول الله ﷺ، وقد اشتهرت المدينة بنخلها الكثير وجودة تمرها⁽¹⁾. والأحاديث النبوية الدالة على فضل التمر كثيرة، فقد جاء عن رسول الله ﷺ في فضل التمر قوله: «لا يجوع أهل بيت عندهم تمر»⁽²⁾. كما قال ﷺ: «يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله، أو جاع أهله»⁽³⁾.

ويظهر من بعض الروايات أن التمر هو الطعام الرئيس في بيوت النبي ﷺ فقد جاء عن عائشة قولها: توفي النبي ﷺ حين شبعنا من

(1) محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد مخزوم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1987م)، ص 81؛ محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض (بيروت: مكتبة الحياة، 1979م)، ص 37.

(2) مسلم، 3/1618.

(3) أبو داود، 2/390؛ الدارمي، 2/141؛ وانظر: الترمذي، 4/264-265؛ ابن ماجه، 2/1104-1105.

الأسودين التمر والماء⁽¹⁾. وفي صورة أكثر وضوحًا، قالت عائشة: إنا كنا آل محمد نمكث شهرًا ما نستوقد بنار إن هو إلا الماء والتمر⁽²⁾. ولأهمية التمر في ذلك الوقت، فقد كان من ضمن ما يقدم في وليمة الزواج، وأولم رسول الله ﷺ على صفية بنت حُيَيٍّ بالتمر والأقط⁽³⁾. وبسبب حاجة الناس الماسة إلى التمر كمادة غذاء رئيسة، صار ضمن أطعمة زكاة الفطر، حيث يخرج منه صاع عن كل نفس⁽⁴⁾.

الثريدُ

وهو ما يهشم من الخبز ويبل بماء القدر، وأحيانًا يكون معه لحم⁽⁵⁾. وأشار رسول الله ﷺ إلى الثريد في حديثه عن فضل عائشة على سائر النساء بقوله: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽⁶⁾. وقدم رسول الله ﷺ لبعض أضيافه جفنة كثيرة الثريد والوذر -أي: قطع اللحم-⁽⁷⁾. وأهدت بعض أزواج النبي ﷺ قصعة فيها ثريد إلى رسول الله ﷺ وهو في بيت إحدى أزواجه، فقامت فضربت القصعة فانكسرت⁽⁸⁾. وذلك من شدة الغضب والغيرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أول هدية من طعام أهديت إلى

(1) البخاري، الصحيح، ص 1178، (ح: 5442).

(2) الترمذي، 645/4.

(3) مسلم، 1046/2؛ ابن حنبل، 110/3.

(4) البخاري، الصحيح، ص 301، (ح: 1512).

(5) الأزهري، 88/14؛ ابن منظور، 102/3.

(6) البخاري، الصحيح، ص 1173، (ح: 5419).

(7) الترمذي، 283/4.

(8) الدارمي، 343/1.

رسول الله ﷺ حين مقدمه من مكة إلى المدينة ونزوله دار أبي أيوب، كانت قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم⁽¹⁾. وهذا دليل على أهمية الثريد وفضله على بقية أطعمة ذلك الوقت.

الجَشِيشَةُ:

«وهي أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً، ثم تنصب به القدر عليها لحم أو تمر، فيطبخ، فهذا الجشيش⁽²⁾. وجاء في رواية عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ أنهم ذهبوا مع رسول الله ﷺ إلى بيته، أي: بيت عائشة، فجاءتهم بجشيشة، فأكلوها⁽³⁾.

الحَيْسُ:

وهو التمر والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجناً شديداً حتى تندر منه نواة، ثم يسوّى كالثريد⁽⁴⁾. وهو من الأطعمة الفاخرة حسب مقاييس ذلك الوقت.

والحيس من جملة الأطعمة التي كانت معروفة في أيام الرسول ﷺ، فقد أخذ بعض أصحابه إلى بيته، وسأل عائشة، هل من شيء؟ فأحضرت قليلاً من الحيس، فتناول رسول الله ﷺ منها، ثم قال: «خذوا بسم الله»⁽⁵⁾. ودخل رسول الله ﷺ على عائشة ذات يوم، فقالت له: يا رسول الله!

(1) ابن كثير، 4/ 499.

(2) ابن منظور، 6/ 273، مادة «جشش».

(3) ابن حنبل، 3/ 429-430؛ أبو داود، 2/ 729.

(4) الأزهرى، 5/ 172؛ الثعالبي، ص 240؛ أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، ط2 (بيروت: دار صادر، 1413هـ)، 1/ 371.

(5) ابن حنبل، 5/ 426.

إنه أهدي لنا حيس فخبأت لك منه، قال: «أدنيه ... فأكل منه»، وتردف عائشة قائلة: إنه كان يحب الحيس⁽¹⁾. والحيس كذلك من ولائم الزواج، وعندما تزوج رسول الله ﷺ بصفية بنت حُيي، أولم عليها بحيس⁽²⁾.

الخطيفة:

«وهي أن تؤخذ لبينة -تصغير لبن-، فتسخن، ثم يذر عليها دقيق، ثم تطبخ، فيلحقها الناس ويختطفونها في سرعة»⁽³⁾.

وجاء في رواية عن أنس بن مالك أن أمه أم سليم عمدت إلى مُدٍ من شعير، جشته وجعلت منه خطيفة، وعصرت عليه من عكة سمن عندها ثم دعت النبي ﷺ فجاء هو وبعض أصحابه وطعموها⁽⁴⁾.

السويق:

من الأطعمة المعروفة في زمن النبي ﷺ، والسويق يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسمي بذلك لانسياقه في الحلق⁽⁵⁾.

وجاء في مصادر السنة النبوية، أن النبي ﷺ حين تزوج بصفية بنت حُيي أولم عليها بسويق وتمر⁽⁶⁾. وجاء في رواية أخرى عن المناسبة نفسها وذلك بعد غزوة خيبر (7هـ/628م)، قال: فجعل الرجل يجيء بفضل التمر والسويق حتى جعلوا من ذلك حيسًا، فجعلوا يأكلون من

(1) السائي، 4/ 193-196.

(2) البخاري، الصحيح، ص 1174، (ح: 5425).

(3) الأزهرى، 7/ 244؛ وقارن أبو هلال العسكري، 1/ 373.

(4) البخاري، الصحيح، ص 1179، (ح: 5450)؛ ابن حنبل، 3/ 147. والمُد: يعادل ربع صاع.

(5) انظر: المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بمصر، إشراف عبد السلام هارون (طهران: المكتبة العلمية، د. ت)، ص 467.

(6) انظر: ما جاء عند ابن سيده في الأحوال التي يكون عليها السويق، 1/ 5، 8-9.

ذلك الحيس⁽¹⁾. وهذا يعني أن السوق يكون ضمن العناصر التي يصنع منها الحيس. وفي مسير رسول الله ﷺ لفتح مكة (8هـ/629م)، كان سوق القمح بعض ما تجهز به من طعام⁽²⁾. وجاء عن رسول الله ﷺ أن السوق يصلح أن يكون صداقاً، قال ﷺ: «من أعطى في صداق امرأة ملء كفيه سويقاً أو تمرّاً فقد استحل»⁽³⁾.

التلبينة:

من الأطعمة المعروفة في بيوت النبي ﷺ، وهي: «حساء يُعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل، سُميت «تلبينة» تشبيهاً لها باللبن لبياضها ورقتها»⁽⁴⁾.

قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يصفها لبعض المرضى، ويقول: «عليكم بالتلبينة فحسّوه إياها، فوالذي نفسي بيده إنها لتغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم وجهه بالماء من الوسخ»⁽⁵⁾.

وأحياناً تكون التلبينة مصاحبة للثريد وتقدم في العزاء، وكانت عائشة إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء، أمرت ببرمة من تلبينة، ثم صنّع ثريد فصُبَّت التلبينة عليها، ثم دعت النساء للطعام وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن»⁽⁶⁾.

(1) مسلم، 2/1047.

(2) محمد بن عمر الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط3 (بيروت: عالم الكتب، 1404هـ/1984م)، 2/796.

(3) أبو داود، 1/641-642.

(4) الثعالبي، ص239.

(5) ابن حنبل، 6/152.

(6) البخاري، الصحيح، ص1173، (ح: 5417)، ص1424، (ح: 5689)؛ ابن حنبل، 63/80، 155.

العَصِيدَةُ،

«وهي التي تعصدها بالمسواط فتمررها به، فتقلب ولا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب وهو دقيق يُلَّتْ بالسمن ويُطبخ»⁽¹⁾. وذكر أحد أصحاب رسول الله ﷺ أنه ذهب هو وصاحب له إلى بيت رسول الله ﷺ فلم يجدها، فأطعمتهم عائشة تمرًا وعصدت لهم عصيدة⁽²⁾. وجاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى أبيها ببرمة فيها عصيدة⁽³⁾. وفي ليلة دخول رسول الله ﷺ بأم سلمة أخرجت حبات من شعير وأخرجت شحمًا فعصدته له⁽⁴⁾.

الخُبْزُ،

وهو آخر ما يمكن الإشارة إليه من الأطعمة، والخبز معروف، ويمكن أن يكون من البُر أو الشعير أو الدُّرَّة. قالت عائشة: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز البُر ثلاث -أي: ثلاث ليال-⁽⁵⁾. والبُر هو الحنطة، قال أبو هريرة: ما أشبع رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا⁽⁶⁾.

وبسبب غلاء ثمن الحنطة فقد اتجه الناس إلى الشعير، فاتخذوا

(1) ابن منظور، 3/ 192، مادة «عصد»، وانظر الأحوال التي تكون عليها العصيدة عند الثعالبي، ص 241؛ وقارن ابن سيده، 4/ 1، ص 146.

(2) ابن حنبل، 4/ 33، 211.

(3) ابن حنبل، 6/ 307.

(4) ابن سعد، 8/ 92.

(5) مسلم، 4/ 2282؛ الترمذي، 4/ 579؛ وكتب إحسان صدقي العمدة، بحثًا ضافيًا وشيقًا عن الخبز بعنوان «الخبز في الحضارة العربية الإسلامية» حوليات كلية الآداب، الكويت، الحولية الثانية عشر، 1412هـ/ 1413هـ.

(6) مسلم، 4/ 2284؛ وقارن ابن ماجه، 2/ 1110.

منه طعامهم وخبزهم لأنه أرخص من الحنطة⁽¹⁾. وأكدت بعض الروايات أن عامة خبز بيوت رسول الله كان من الشعير⁽²⁾.

وأحياناً يتعذر على رسول الله ﷺ الحصول حتى على الشعير، فيضطر إلى رهن درعه لأجل الحصول على طعام أهله⁽³⁾. وتفيد إحدى الروايات أن وليمة علي بن أبي طالب في زواجه من فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت من شعير⁽⁴⁾.

وربما في المناسبات النادرة يضاف الزيت والفلفل إلى طعام الشعير في بيت رسول الله ﷺ⁽⁵⁾. وأفادت أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أن أرفع طعام صنعته لرسول الله ﷺ خبزة شعير صُب عليها سمن، فأصبحت هشّة دسمة، فأكل منها وتطعم منها⁽⁶⁾.

ب - اللحوم:

ألمحت بعض الروايات إلى أن النبي ﷺ كان يفضل اللحم، وجاء في الحديث ما دُعي رسول الله إلى لحم قط إلا أجاب، ولا أهدى له لحم قط إلا قبله⁽⁷⁾.

وهناك أجزاء معينة من اللحم كان يفضلها رسول الله ﷺ دون سواها

(1) العمدة، ص 31.

(2) ابن حنبل، 1/ 254؛ ابن ماجه، 2/ 1111؛ الترمذي، 4/ 580.

(3) البخاري، الصحيح، ص 498، (ح: 2508)؛ ابن حنبل، 1/ 300؛ النسائي، 7/ 288.

(4) ابن سعد، 8/ 24.

(5) الواقدي، 2/ 767.

(6) الطبري، تاريخ، 3/ 617.

(7) ابن ماجه، 2/ 1099، المقصود باللحم، اللحم على إطلاقه سواء كان ماعزًا أو ضأنًا أو بقرةً أو إبلًا، ما لم يرد نص صريح على نوع اللحم، إذ من المعروف أن النبي ﷺ أكل من كل هذه الأنواع تقريبًا.

مثل لحم الظهر، فقد قال: «أطيب اللحم لحم الظهر»⁽¹⁾، ولحم الذراع، فقد كانت تعجبه⁽²⁾. وربما كان الشواء مما يفضلُه رسول الله، فقد ضافه أحد أصحابه ذات ليلة، فأمر بجنب فشوي وقدمه لضييفه⁽³⁾. وتقول أم سلمة أنها قدمت لرسول الله ﷺ جنبًا مشويًا فأكل منه⁽⁴⁾. وحينما لا يكون اللحم الطري متوافرًا، فإن رسول الله يأكل اللحم المجفف أي: القديد، قالت عائشة: كنا نرفع الكُرَاع، فيأكله رسول الله ﷺ بعد خمس عشرة من الأضاحي⁽⁵⁾. وقال جابر بن عبد الله: أكلنا مع رسول الله ﷺ القديد بالمدينة من قديد الأضحى⁽⁶⁾.

الإدام،

من أنواع الطعام الذي يأتي عادة مصاحبًا للحم والخبز، حيث أنه يؤتدم به مع الخبز، وهو ما يؤكل بالخبز أي شيء كان⁽⁷⁾. ومن أشهر أنواع الإدام.

المَرَق،

«الذي يؤتدم به واحده مرقه، والمرق أخص منه»⁽⁸⁾.

(1) ابن ماجه، 2/ 1100.

(2) المصدر نفسه، 2/ 1099؛ الترمذي، 4/ 277.

(3) أبو داود، 1/ 97.

(4) الترمذي، 4/ 272.

(5) ابن ماجه، 2/ 1102، والقديد: إذا شرح اللحم وقدد طوًّا فهو القديد، والقديد اللحم المملح المجفف في الشمس. انظر: ابن سيده، 1/ 4، 125؛ ابن الأثير، النهاية، 4/ 22.

(6) ابن حنبل، 3/ 327؛ وللاطلاع بتوسع على موضوع الأطعمة والأشربة بأنواعها. راجع محمد بن فارس الجميل، الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ. حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة عشر، (1416/ 1417هـ).

(7) ابن منظور، 9/ 12، مادة «أدم»؛ وقارن الجوهري، 5/ 1859.

(8) ابن منظور، 10/ 340 مادة «مرق»؛ وقارن الأزهرى، 9/ 144.

والمَرْقَ والمرقة، اللحم يطبخ بالماء، وقد تواترت عنه الأحاديث بالحث على إكثار المرقة وإطعام الجيران، قال ﷺ: «إذا اشتري أحدكم لحمًا، فليكثر مرقته، فإن لم يجد لحمًا أصاب مرقة وهو أحد اللحمين»⁽¹⁾. وأوصى رسول الله ﷺ أحد أصحابه بإكثار المرقة وإعطاء الجيران منها⁽²⁾. وقد يصنع المرق من الدباء -القرع- والقديد، وقد أتى النبي ﷺ بمرقة فيها دباء وقديد، فجعل يتتبع الدباء يأكلها⁽³⁾.

الفليقة :

من أصناف المرقة ما يعرف بالفليقة، وهي قدر يطبخ ويثرد فيها فُلُقُ الخبز، -أي: كسره-؛ وقد أكل رسول الله ﷺ من هذه المرقة⁽⁴⁾.

وكان أحد جيران رسول الله ﷺ رجلاً فارسيًا، وكان طيب المرق، فصنع لرسول الله ﷺ شيئًا من ذلك، فذهب رسول الله ﷺ وعائشة حيث تناولا الطعام عند ذلك الفارسي⁽⁵⁾.

السمن :

«وهو سلاء اللبن، والسمن: سلاء الزبد، والسمن للبقر، وقد يكون للمعزى»⁽⁶⁾. والسمن من ضمن ما يؤتد به في عصر الرسول ﷺ ويؤكل مع التمر، كما يؤكل مع الخبز، ويدخل في كثير من صناعة الأطعمة.

(1) الترمذي، 274/4.

(2) الدارمي، 147/2؛ ابن ماجه، 1116/2.

(3) البخاري، الصحيح، ص 1177، (ح: 5437).

(4) ابن الأثير، النهاية، 472/3.

(5) مسلم، 1609/3. ربما أن الرجل الفارسي المشار إليه في الرواية هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي.

(6) الأزهرى، 21/13؛ ابن منظور، 219/13، مادة «سمن».

والسمن مع التمر وربما مع غيره كذلك مما يُتَحَفُّ به الزوار، فقد دخل رسول الله ﷺ على الصحابية أم سليم والددة أنس بن مالك، فأنته بتمر وسمن⁽¹⁾. كما دخل ﷺ ذات مرة على الصحابية أم حرام، فأتوه بسمن وتمر⁽²⁾. وفي مناسبة زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حُيي جعل وليمتها التمر والأقط والسمن «فُحصت الأرض أفاحيص، وجيء بالأنطاع -أي: الجلود المدبوعة- فوضعت فيها، وجيء بالأقط والسمن فشبع الناس⁽³⁾».

الزَيْتُ،

من أنواع ما يؤتدم به وهو «عصارة الزيتون، والزيت دهنه»⁽⁴⁾. وجاء في الحديث قوله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»⁽⁵⁾. وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ يحث على الإندام بالزيت والإدهان به، إلا أنه لم يكن يحصل على كفايته من ذلك! قالت عائشة: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين⁽⁶⁾.

الْخَلُّ،

«وهو ما حَمَضَ من عصير العنب وغيره .. والخل يؤتدم به، سُمي خَلًّا لأنه اختل منه طعم الحلاوة»⁽⁷⁾. ودخل رسول الله ﷺ على عائشة

(1) ابن حنبل، 108/3.

(2) أبو داود، 1/221-222.

(3) مسلم، 2/1045-1046، وقارن ص 1047.

(4) ابن منظور، 35/2، مادة «زيت».

(5) الترمذي، 4/285.

(6) مسلم، 4/2283.

(7) ابن منظور، 11/211، مادة «خلل»؛ وانظر فوائد الخل الغذائية والطبية عند محمد بن أبي بكر =

ذات مرة، فقال: هل من غذاء؟ قالت: عندنا خبز وتمر وخل. فقال رسول الله ﷺ: «نعم الإدام الخل، اللهم بارك في الخل، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي. ولم يفتقر بيت فيه خل»⁽¹⁾. وسأل النبي أهله ذات يوم عن الإدام، فقالوا: ما عندنا إلا خل. فدعا به، وجعل يأكل به ويقول: «نعم الإدام الخل»⁽²⁾. وهكذا فقد كان النبي يأتمم بالخل ويشني عليه، وليس من المستبعد أن الإدام الفقراء في عصر الرسول ﷺ.

الملح:

والملاح معروف، هو ملح الطعام، وجاء في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد إدامكم الملح»⁽³⁾. وعندما طلب أبو هريرة من والدته الطعام، وضعت له ثلاثة أقراص في صحفة، وشيئاً من زيت وملح⁽⁴⁾. ولأن الملح ضروري للكثير من الأطعمة، وبالف الأهمية لحياة الناس، فقد نهى رسول الله ﷺ عن منع الماء والملح⁽⁵⁾. وسألت عائشة رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال: «الماء والملح والنار»⁽⁶⁾.

ج - الأشربة:

والشراب: «ما شُرِبَ من أي نوع كان، وعلى أي حال كان»⁽⁷⁾.

= ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون (د. م. د. ن. د. ت)، ص 235-236.

(1) ابن ماجه، 2/ 1102.

(2) مسلم، 3/ 1621-1622.

(3) ابن ماجه، 2/ 1102، وقال المحقق: إن في سند هذا الحديث ضعيف.

(4) مالك، ص 933.

(5) أبو داود، 2/ 300؛ وقارن الدارمي، 2/ 349.

(6) ابن ماجه، 2/ 826.

(7) ابن منظور، 1/ 488 مادة «شرب»؛ وانظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، كتاب الأشربة، تحقيق: =

اللبَنُ:

وكان رسول الله ﷺ إذا أُتي بلبَن قال: «بركة أو بركتان»⁽¹⁾. وقال في تعظيمه لشأن اللبن: «ومن سقاه الله لبنًا، فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن»⁽²⁾. وقالت إحدى نساء رسول الله ﷺ: «كان عيشنا مع رسول الله اللبن، وأكثر عيشنا كانت لرسول الله ﷺ لقائح بالغابة»⁽³⁾، فكان فرقهـا على نساء... وكُنـا منها فيما شئنا من اللبن...»⁽⁴⁾. وكان يُرأح إلى رسول الله ﷺ كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللبن⁽⁵⁾. ونظرًا لأهمية اللبن كشراب وطعام، فقد أهدى إلى رسول الله ﷺ في صلح الحديبية (6هـ/ 627م) حمل بعيرين لبنًا⁽⁶⁾.

العسلُ:

من أرفع الأشربة في ذلك الوقت وأعزها منالًا، فهو شراب ودواء⁽⁷⁾. وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»⁽⁸⁾. وكان

= محمد كرد علي (دمشق: مطبعة الترقى، 1366هـ/ 1947م)، حيث ناقش فيه المؤلف أنواع الأشربة والاختلافات فيما بينها من حيث الحلة والخمرة.

(1) ابن ماجه، 2/ 1103.

(2) المصدر السابق، 2/ 1103.

(3) الغابة: هي منطقة العيون حاليًا على بعد تسع كيلومترات عن المدينة من ناحية الشام. راجع هامش (1) ص 108، في تركة النبي ﷺ لحماـد بن إسحاق؛ وانظر: البلادي، ص 223. والمقصود باللقائح مفرد لقحه أي: الإبل ذوات اللبن.

(4) حماد بن إسحاق، ص 108؛ ابن سعد، 1/ 494-496.

(5) حماد بن إسحاق، ص 108.

(6) الواقدي، 2/ 577.

(7) مسلم، 4/ 1736-1737؛ ابن ماجه، 2/ 1142.

(8) ابن ماجه، 2/ 1142.

رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل⁽¹⁾. وكان يمكث عند زوجته زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا، فتواطأت بعض أزواج رسول الله ﷺ عائشة وحفصة، على أنه إذا دخل على أي منهن، فلتقل له إني أجد منك ريح مغاير⁽²⁾، أكلت مغاير؟ فدخل على إحداهن، فقالت له ذلك. فقال: «لا؛ بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش»⁽³⁾. وكان عند الصحابية أم سليم والددة أنس بن مالك، قدح من عيدان، فقالت: سقيت فيه رسول الله ﷺ كل الشراب، الماء والعسل واللبن والنيذ⁽⁴⁾. وكان بعض أهل اليسار، يسقون الناس في أفراح الأعراس اللبن والعسل⁽⁵⁾.

النَّيْذُ:

النيذ يقال: نبذت التمر والعنب، إذا تركت عليه الماء ليصير نيذًا... وانتبذته: «اتخذته نيذًا، وسواء كان مسكرًا أو غير مسكر، فإنه يقال له نيذ»⁽⁶⁾. والنيذ يُعمل من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك⁽⁷⁾. وذكر ابن عباس صفة نيذ رسول الله ﷺ، فقال: كان ينقع له الزبيب فيشربه اليوم والغد إلى مساء الثالثة، ثم يأمر به فيسقى أو يراق⁽⁸⁾.

(1) الدارمي، 2/ 146؛ الترمذي، 4/ 273-274؛ أبو داود، 2/ 361.

(2) المغاير: مثل الصمغ يكون في الرمث وغيره، وهو حلو يؤكل، واحدها مغفور. الأزهرى، 107/8؛ وقارن ابن الأثير، النهاية، 3/ 374.

(3) أبو داود، 2/ 361؛ وانظر حول الاضطراب الواقع في هذه القصة والاختلاف في أسماء بعض أزواج الرسول ﷺ. الواحدي النيسابوري، ص 244-245؛ وانظر: الجميل، أزواج النبي ﷺ، ص 187-196.

(4) النسائي، 8/ 335؛ وقارن مسلم، 3/ 1591.

(5) النسائي، 8/ 336.

(6) ابن منظور، 3/ 511، مادة «نبذ».

(7) المصدر نفسه، 3/ 511.

(8) النسائي، 8/ 333؛ وقارن أبو داود، 2/ 360.

وفي صفة أخرى لنبيذ رسول الله ﷺ، قالت عائشة: «كنا ننبد لرسول الله ﷺ في سقاء، فنأخذ قبضة من تمر أو قبضة من زبيب فنطرحها فيه، ثم نصب عليه الماء، فننبد غدوة، فيشربه عشية، وننبد عشية فيشربه غدوة»⁽¹⁾.

النَّقِيعُ

آخر ما يمكن الحديث عنه من الأشربة هنا على وجه الاختصار، هو ما يعرف بالنقيع أو النَّقْعُ أيضًا، وهو شيء ينقع فيه الزبيب وغيره، ثم يصفى ماؤه ويشرب ... والنقيع: شراب يتخذ من زبيب ينقع في الماء من غير طبخ ..⁽²⁾.

وحين سُئل رسول الله ﷺ من بعض أصحابه؛ ما نصنع بالزبيب؟ قال: «انقعوا في الشنان، انقعوه في غداثكم واشربوه على عشائكم»⁽³⁾. ودعا أبو أسيد الساعدي رسول الله ﷺ في عرسه، فكانت امرأته يومئذ خادهم. وهي العروس. قال أبو أسيد: أتدرون ما سقت رسول الله ﷺ؟ أنقعت له تمرات من الليل في تور، فلما أكل سقته إياه⁽⁴⁾.

وأخيرًا، فإن ما تم الحديث عنه من معاش رسول الله ﷺ وأهل بيته من الطعام والشراب، لا يمكن أن يكون حصراً دقيقاً لمعاش آل محمد، ولم يكن الغرض من هذه الجزئية من الدراسة تقديم ثبت دقيق بمطعم آل رسول الله ﷺ ومشربهم؛ بل إن الغرض من ذلك هو تقديم صورة تقريبية

(1) ابن ماجه، 2/ 1126.

(2) ابن منظور، 8/ 361، مادة «نقع».

(3) الدارمي، 2/ 157.

(4) مسلم، 3/ 1590-1591.

لما كانت عليه الحال حينذاك مكتفياً ببعض الشواهد المستقاة من أقرب المصادر إلى الصحة، ألا وهي مصادر السنة النبوية التي تبين من خلالها أن النبي ﷺ وأهل بيته كانوا في ضيق من العيش، وكان عامة طعامهم الأسودان التمر والماء⁽¹⁾.

ولكن وبالمقابل فإن المصادر التي تمت الاستعانة بها في التعرف على الحالة المعاشية للرسول ﷺ وآل بيته، هي المصادر ذاتها التي يمكن أن تعرض للقارئ صورة مغايرة للصورة الأولى فيما يتعلق بمعاش رسول الله ﷺ وأهل بيته.

فقد جاء عند ابن سعد قوله: وكانت جفنة سعد [ابن عباد] تدور على رسول الله ﷺ منذ يوم نزوله المدينة في الهجرة إلى يوم توفي، وغير سعد بن عباد من الأنصار يفعلون ذلك⁽²⁾.

وكان لرسول الله جيران من الأنصار، لهم منائح يرسلون إليه بشيء من لبن⁽³⁾. وكان لرسول الله عشرون لحقة - الإبل الحلوب - وكانت هي التي يعيش بها أهل رسول الله ﷺ، يُرَاحُ إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن⁽⁴⁾.

ومن أشهر هذه اللقائح بغزارة اللبن: الحناء، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة والدِّبَاء⁽⁵⁾.

أما الغنم، فكان لرسول الله ﷺ سبع من المعز: عجوة، وزمزم، وسقيا،

(1) انظر: ابن سعد، «ذكر شدة العيش على رسول الله ﷺ»، 400-409.

(2) ابن سعد، 1/ 409؛ ابن كثير، 4/ 499.

(3) ابن سعد، 1/ 401، 402، 403.

(4) المصدر نفسه، 1/ 494؛ وانظر: حماد بن إسحاق، ص 108.

(5) ابن سعد، 1/ 494؛ وقارن حماد بن إسحاق، ص 107.

وبركة، وإطلال، وإطراف⁽¹⁾. ويظهر أنه في فترة لاحقة وربما في عام الوفود أي: في السنة التاسعة من الهجرة، كان قد أصبح لدى رسول الله ﷺ مئة رأس من الغنم، وهذا عدد كبير نسبياً⁽²⁾. أما النخل، فيظهر من رواية لدى البخاري أن بعض الأنصار كانوا يجعلون لرسول الله ﷺ ثمار بعض نخيلهم⁽³⁾. وبعد استيلاء النبي ﷺ على أموال بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة، والاستيلاء كذلك على أموال بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة، أصبح لديه وفرٌ من المال، فكان ينفق على أهله من أموال بني النضير، ويزرع تحت النخيل زرعاً كثيراً، وكان يدخر لأهله منها قوت سنة من الشعير والتمر⁽⁴⁾.

ولما فتحت خيبر (7هـ/ 628م)، قالت عائشة: الآن نشبع من التمر⁽⁵⁾. وقال عمر بن الخطاب ما شبعنا حتى فتحنا خيبر⁽⁶⁾. ومن خمس مغنم خيبر أطعم رسول الله ﷺ كل امرأة من نساءه، ثمانين وسقاً تمرًا وعشرين وسقاً شعيراً، طعمة ثابتة كل عام⁽⁷⁾. وجاء في رواية عند ابن هشام أن

(1) حماد بن إسماعيل، ص 105-106؛ ابن سعد، 1/ 495-496.

(2) عمر بن شبه النميري البصري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت (د: م، د: ن، د: ت)، 2/ 515-516؛ أبو داود، 1/ 83. الذي يدعو للاعتقاد أن أغنام رسول الله ﷺ بلغت المئة في السنة التاسعة وهي عام الوفود وربما قبلها أيضاً، هو ما ذكره ابن شبه في ترتيب قديم الوفود، إذ جعل وفد بني المصطلق بعد وفد ثقيف وقبل وفد بني حنيفة، ومعلوم أن وفد ثقيف كان في أواخر السنة التاسعة من الهجرة.

(3) البخاري، الصحيح، ص 635، (ح: 3128).

(4) الواقدي، 1/ 387؛ للتعرف على أسباب غزوتي بني النضير وقريظة وما نتج عنهما من قتل وإجلاء. انظر: الواقدي، 1/ 363-383، 2/ 496-531؛ ابن سعد، 2/ 57-59، 74-78.

(5) البخاري، الصحيح، ص 874، (ح: 4242).

(6) المصدر نفسه، ص 874 (ح: 4243).

(7) ابن شبه، 1/ 186؛ وجاء في رواية أخرى عند ابن شبه أن رسول الله ﷺ أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس: مائة وسق تمرًا وعشرين وسقاً شعيراً، 1/ 178؛ الواقدي، 2/ 693.

رسول الله ﷺ أعطى كل واحدة من نساءه من قمح خبير مئة وثمانين وسقاً⁽¹⁾. وهذه الرواية الأخيرة محل نظر إذ إنها تخالف ما أجمعت عليه الروايات السابقة من أن نصيب كل امرأة من أزواج رسول الله ﷺ يتراوح بين (80-100) وسقاً من التمر و(20) وسقاً من الشعير.

وقصارى القول إنه يمكن الافتراض أن فتح خبير قد وضع حداً لمعاناة الرسول ﷺ وأهل بيته من الناحية المعاشية، إذ أصبح لديهم مصدر ثابت للمعاش، بل يمكن الافتراض كذلك أن معيشة النبي ﷺ وأهل بيته حتى قبل فتح خبير لم تكن على تلك الصورة من القتامة، ولم تكن المعاناة بمثل تلك الشدة التي تصورها بعض المصادر. هذا إذا ما وضع في الاعتبار المعطيات السابقة التي تتحدث عما كان لدى الرسول ﷺ من إبل وغنم ونخل وزرع.

(1) ابن هشام، 3/383؛ وانظر: مسرد الأطعمة والأشربة في ملحق (6).

الخاتمة

إن الحديث الطويل والمتشعب بخصوص بيوت النبي ﷺ وحُجراتها، يمكن أن يختصر ببعض الحقائق التي من أبرزها:

إن أول بيتين بناهما رسول الله ﷺ بالمدينة هما بيتا سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر، وأن عدد البيوت أخذ بالازدياد حتى بلغت تسعة بحُجراتها، وأن هذه البيوت تقع في غالبها في الجزء الشرقي من المسجد النبوي. ومن الحقائق التي يجب التأكيد عليها في هذا السياق هو أن لكل بيت حُجرة، وأن الحُجرة تختلف من حيث الإنشاء والوظيفة عن البيت، إذ إن البيت يُعدُّ الوحدة السكنية الرئيسة بينما الحُجرة، تعدُّ الوحدة الثانوية في المسكن فهي أشبه ما تكون بفناء البيت، وأسوار هذا الفناء مقامة عادة من جريد النخيل وسعفها ولا سقف لها، بينما البيت مبني من الطين أو الحجارة. وبسبب الخلط في مفهوم البيت والحُجرة، فقد ظن بعض ممن ليس لهم إلمام واسع بالسيرة النبوية، أن البيت والحُجرة بمعنى واحد، لذلك وحسب هذا المفهوم فإن قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه تقع في الحُجرة أي: حُجرة عائشة! وهذا الفهم مغاير للحقيقة، إذ إن النبي ﷺ توفي ودفن في بيته أي: بيت عائشة، حيث رُفِع فراشه الذي توفي عليه وحفر قبره في مكان الفراش ودفن في البيت، ثم دفن إلى جواره كل من صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. لذلك فإن ما يطلق عليه الآن «الحُجرة الشريفة» هو في الواقع البيت

الذي توفي فيه الرسول ﷺ وليس الحُجْرة، وأن التسمية بالحُجْرة هي تسمية مجازية وليست حقيقة.

ولأن النبي ﷺ عاش أيامه الأخيرة في بيت عائشة، ومات ودفن في البيت نفسه، فقد كان من الصواب أن يكون بيت عائشة هو الأنموذج لبيوت النبي ﷺ في هذه الدراسة، لذلك فإن كل ما ورد هنا من حديث عن مرافق البيت، أو أثاث البيوت ومتاعها ومعاش رسول الله ﷺ وأهل بيته فهو في الغالب حديث عن بيت عائشة إلا فيما ندر.

وليس من المستبعد أن بيت عائشة بكل ما يحويه وكل ما دار فيه من نشاط هو في الواقع صورة لبقية بيوت أزواج رسول الله ﷺ.

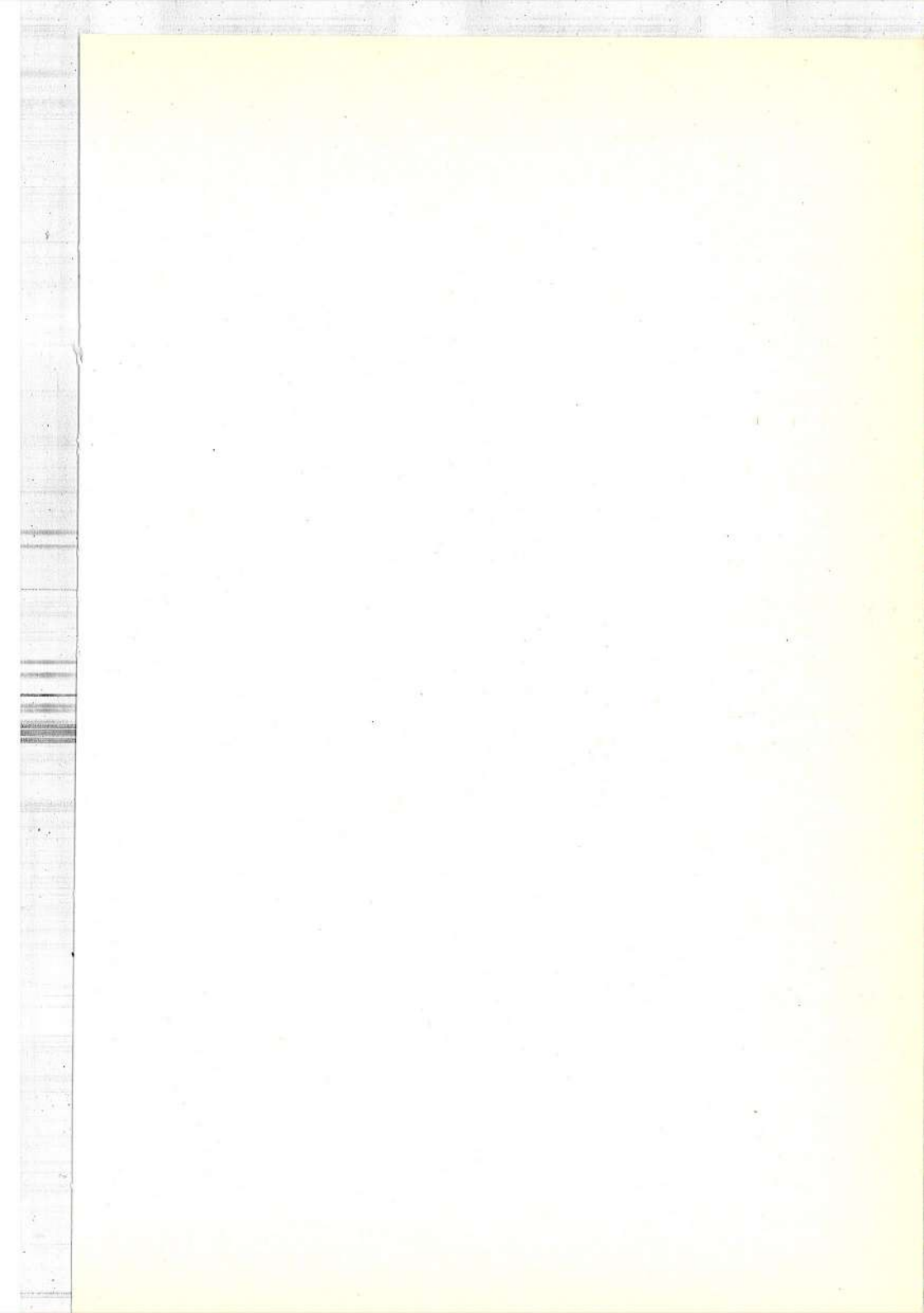
أما ما جاء عن مرافق بيت عائشة فهي معلومات استنتاجية إذ إن المصادر لم تقدم معلومات دقيقة واضحة بهذا الخصوص.

لذلك فقد كانت الإشارة عابرة إلى بعض المرافق التي يُعتقد أنها كانت من مكونات بيت عائشة مثل: المشربة، والمغتسل والمستحم، والكنيف، والسهوة، وموقد النار والتنور. وفي أثناء الحديث عن مرافق البيت كان لا بد من التطرق بشيء من الإيجاز إلى أثاث بيوت النبي ﷺ ومتاعها وذلك من أجل تقديم صورة تقريبية تساعد القارئ على فهم نمط الحياة في ذلك العصر، وحياة الرسول ﷺ بخاصة. ومرة أخرى كان الحديث عن بيت عائشة ومحتوياته بصفته الأنموذج لبقية بيوت النبي. وقد اشتمل موضوع الأثاث والمتاع على: الفرش والستور، وكذلك الآنية والأوعية وما في حكمها. وما أشير إليه في موضوع الأثاث والمتاع لم يكن حصراً دقيقاً وشاملاً لمحتويات بيت النبي، لأن الغرض منه تقريب التصور لما كانت تحويه بيوت النبي ﷺ من متاع بسيط ومتواضع وليس

تقديم دراسة مستوفية الشروط العلمية القائمة على الرصد والإحصاء لأن ذلك يخرج بنا عن الهدف المنشود.

وكان آخر العناصر التي عالجتها الدراسة هو: معاش رسول الله ﷺ وأهل بيته، حيث تم التعرف على الحالة المعيشية للرسول ﷺ وآله، وذلك من خلال استعراض بعض أنواع الأطعمة والأشربة، التي كانت عماد معاش النبي وأهل بيته، وذلك بالرجوع إلى المصادر الموثوقة مثل مصادر الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية، وقد تبين من خلالها أن معيشة النبي وأهل بيته، كانت خشنة غليظة وقلما نعموا فيها بعيش رغيد.

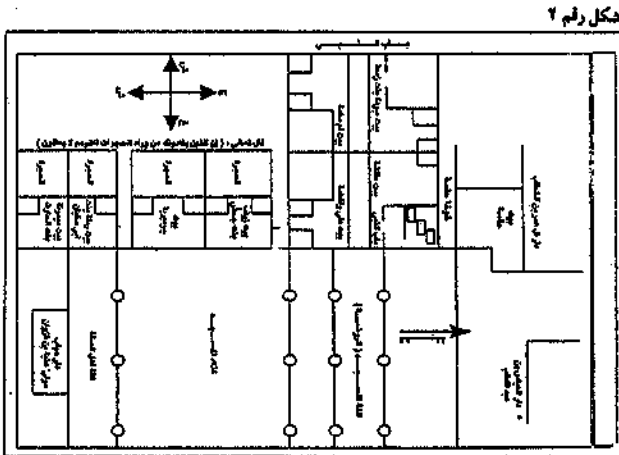
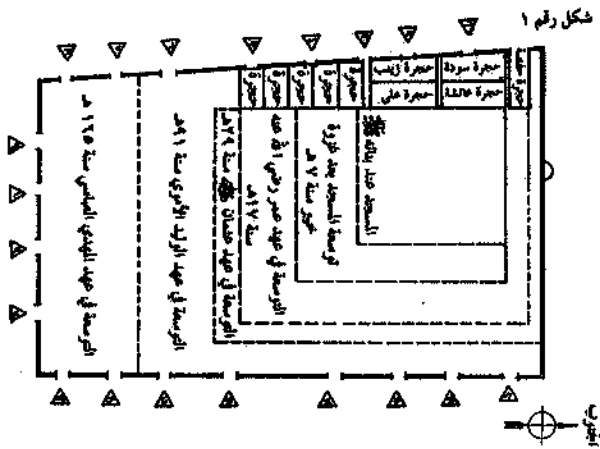
وقد أوضحت المصادر نفسها أنه ربما وبدءاً من العام الرابع الهجري وحتى فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة، أن الضائقة المعيشية بدأت تخف شدتها وأنه أصبح للنبي ﷺ وأهل بيته معاش ثابت.



الملاحق



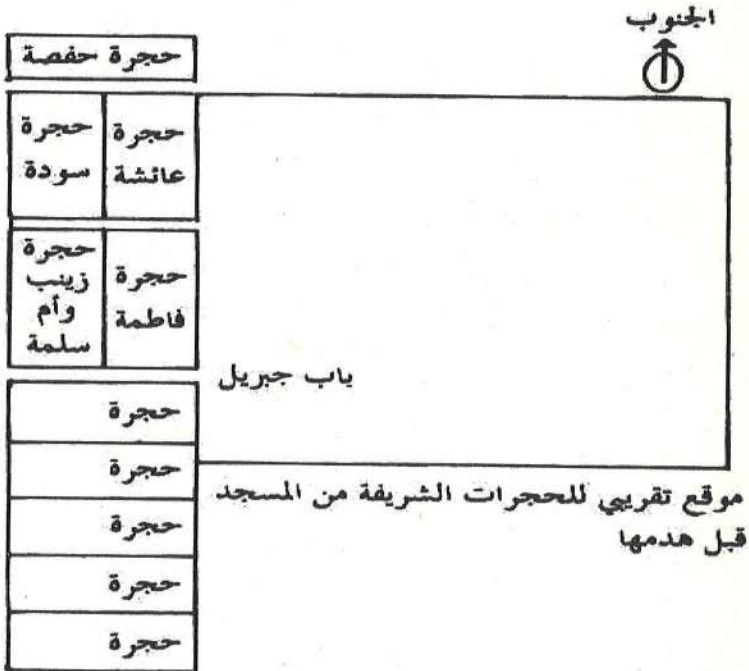
ملحق رقم (1)



انظر: النفيسي «الحجيرة النبوية عبر التاريخ» مجلة الفرقان، العدد 45، ص 52.

ملحق رقم (2)

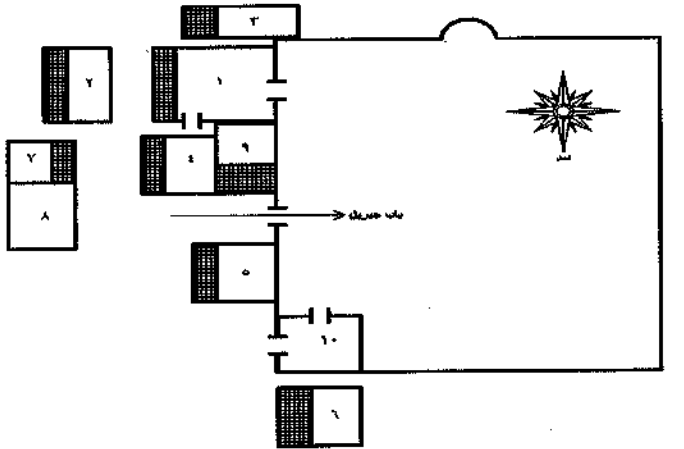
رسم توضيحي للحجرات الشريفة يوضح موقعها من المسجد



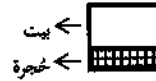
نقلًا عن محمد إلياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ص 20.

ملحق رقم (3)

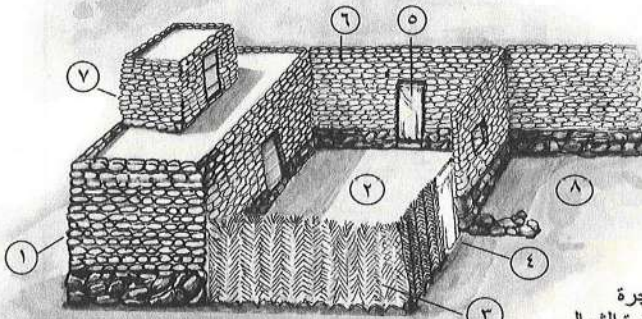
مخطط تقريبي لمواقع بيوت النبي ﷺ وحجراتها وما جاورها من بعض البيوت والمرافق، من عمل المؤلف.



1. بيت عائشة وحجرتها.
2. بيت سودة وحجرتها.
3. بيت حفصة وحجرتها.
4. بيت أم سلمة وحجرتها.
5. بيت زينب بنت جحش وحجرتها.
6. بيت أم حبيبة وحجرتها.
7. بيت صفية بنت أبي لهبة وحجرتها.
8. دار عثمان بن عفان.
9. بيت فاطمة بنت رسول الله (ص) وحجرتها.
10. الصفة: مأوى فقراء المهاجرين.



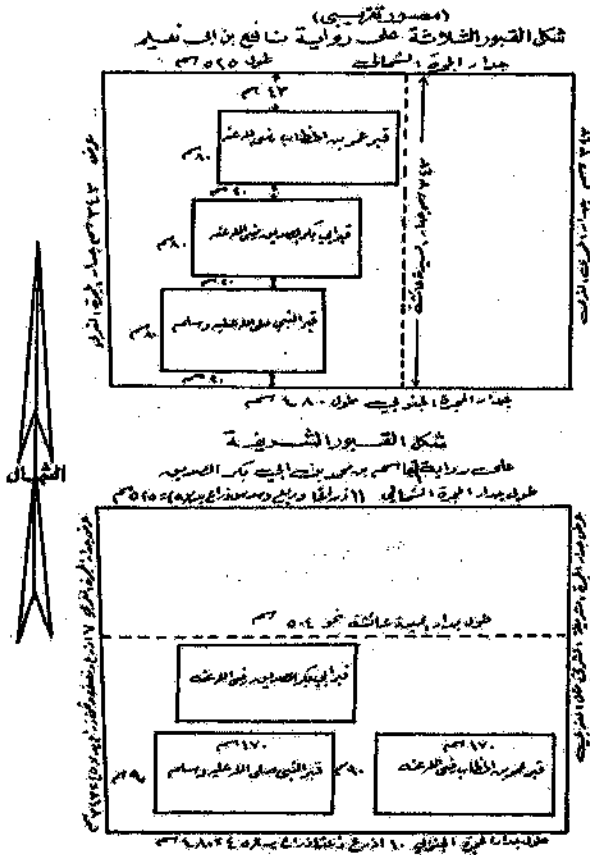
ملحق رقم (4)



- ١- البيت
- ٢- الحجرة
- ٣- سور الحجرة
- ٤- باب الحجرة الشمالي
- ٥- باب الحجرة الغربي الذي كان يذلف منه الرسول (صل الله عليه وسلم) إلى المسجد
- ٦- الجدار الغربي للمسجد
- ٧- المشربة
- ٨- مكان بيت علي وفاطمة

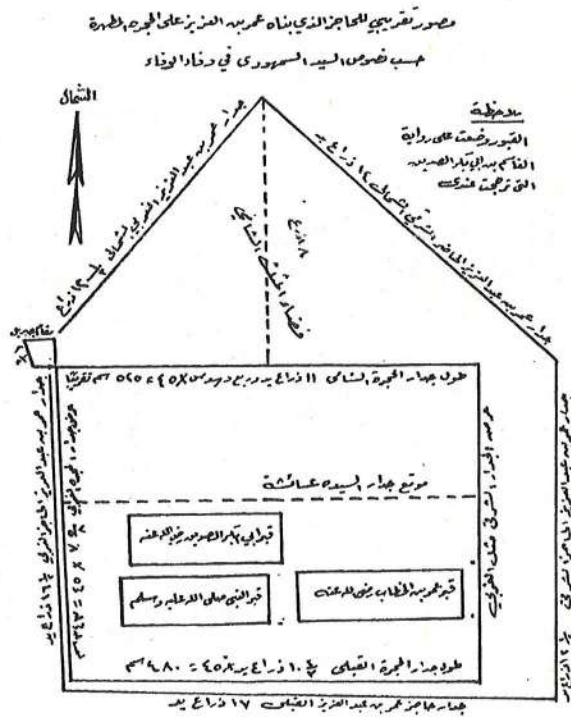
ملحق رقم (5)

مؤامرة تفتك القلوب الشاهقة على طي
 ودارية ترفع التي لم ترفع
 عيني وعيني رواية القسم بن محمد بن أبي بكر
 العسلي التي التي دجتها .



نقلًا عن علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص 119.

ملحق رقم (6)



مخطط تقريبي يمثل حطاب عمر بن عبد العزيز والقبور الثلاثة على رواية
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التي رجحتها .

نقلًا عن علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص 124.

ملحق رقم (7)

(أ) الأثاث والمتاع			
ما ييسط على وجه الأرض	ما يتكأ أو يجلس عليه	ما يعلق على الأبواب والجدر	ما ارتفع عن الأرض
- البساط	- المرفقة	- الدرنوك	- السرير
- الحصير / الحصيرة	- المنبذة	- السجف	- الكرسي
- الخُمرة	- النمقة	- القرام	- النضد
- الخميل / الخميطة	- الوسادة	- الستر / الستارة	
- الفراش			
- القطيفة			
- اللحاف			
- المثال			
- النمط			

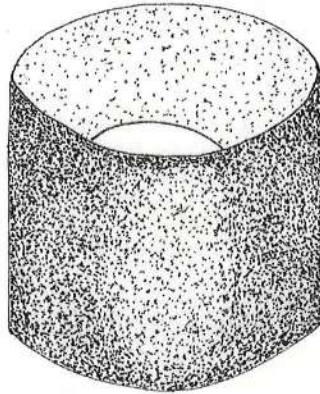
(ب) الآنية والأوعية:				
آنية الطبخ	آنية تقديم الطعام	آنية تقديم الأطعمة الباردة أو الجافة	أوعية السوائل والمائعات	أدوات وآلات مختلفة
- البرمة	- الجفنة	- الطبق	- التور	- المصباح / السراج
- القدر	- القصعة	- القنع / القناع	- الركوة	- المنخل
- المرجل	- الصحفة		- العس	- الرحي
			- القدح	
			- القربة	
			- السقاء	
			- الشن	
			- الطست	
			- المخضب	
			- المرنكن	
			- الجرة	

تابع ملحق رقم (7)

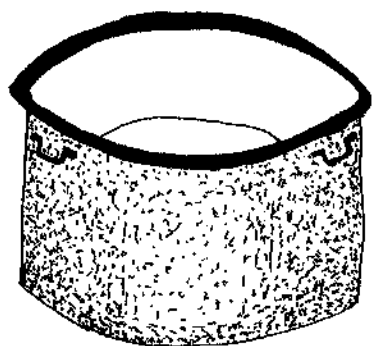
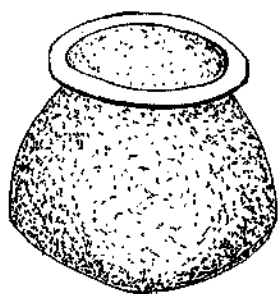
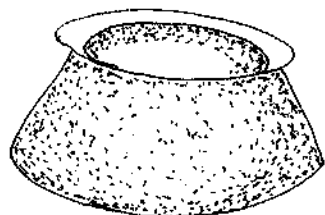
الأشربة	الإدام	اللحوم	الأطعمة والأشربة
- اللبن	- المرق	- اللحوم بأنواعها المختلفة	- التمر
- العسل	- السمن		- الثريد
- النبيذ	- الخل		- الجشيشة
- النقيع	- الملح		- الحيس
	- الزيت		- الخطيفة
			- السويق
			- التليينة
			- العصيدة
			- المخبز

ملحق رقم (8)

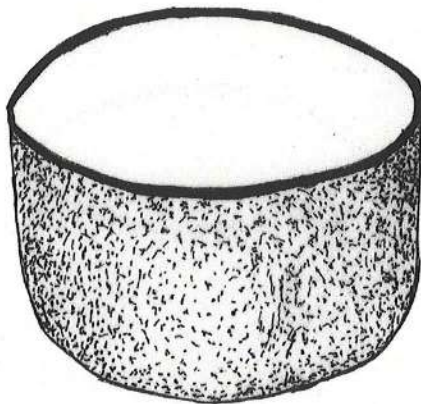
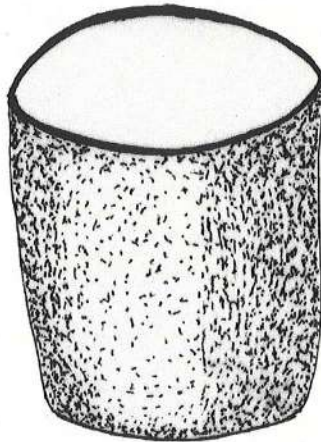
رسوم لأشكال تخيلية لبعض الآنية والأوعية المستخدمة في بيوت النبي ﷺ



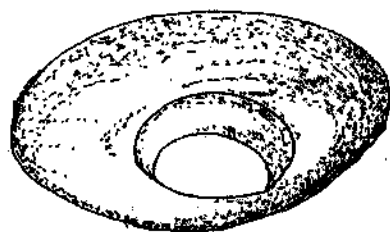
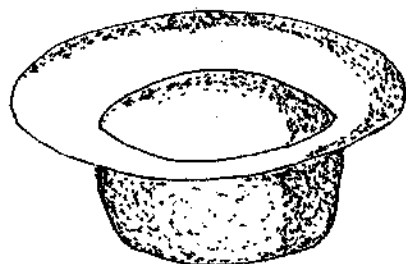
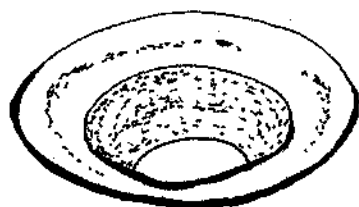
البرمة



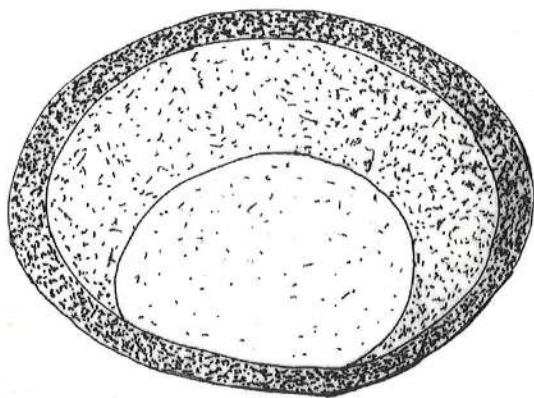
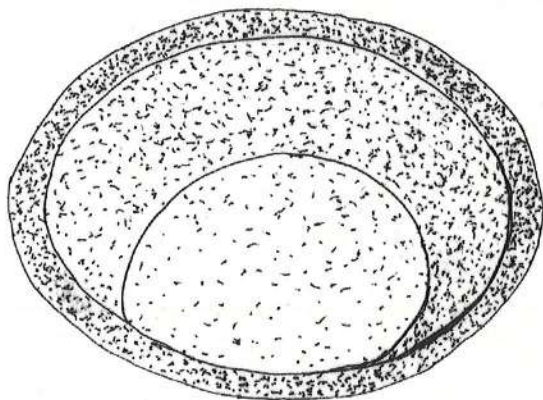
القدر



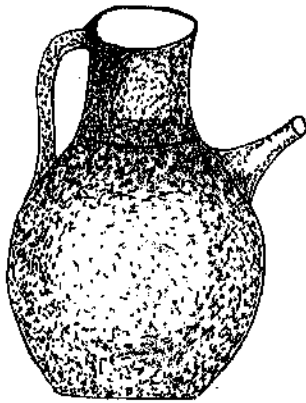
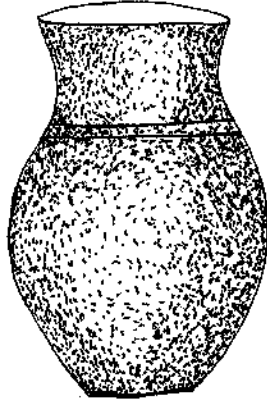
التنور



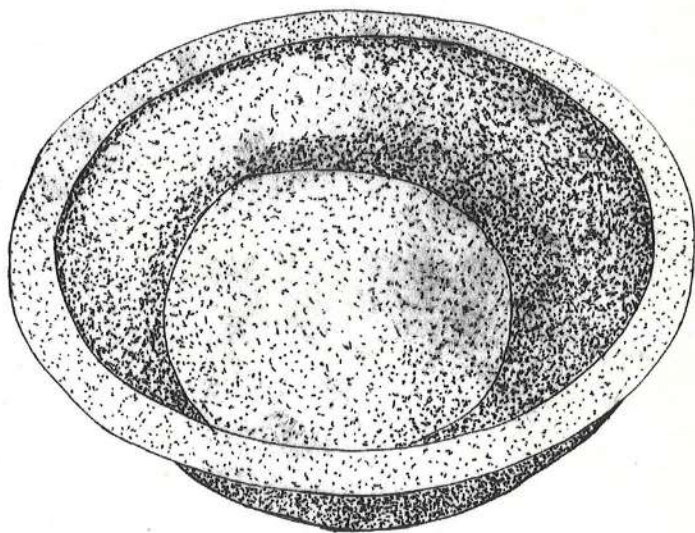
الطست



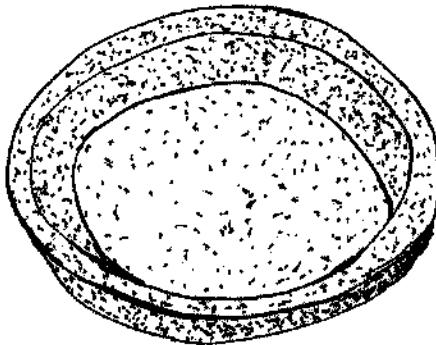
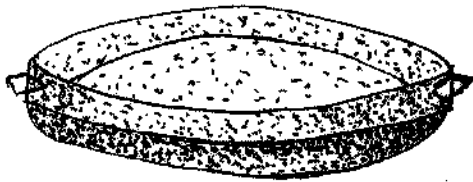
المِرْكَنُ أَوِ الْمَخْضَبُ

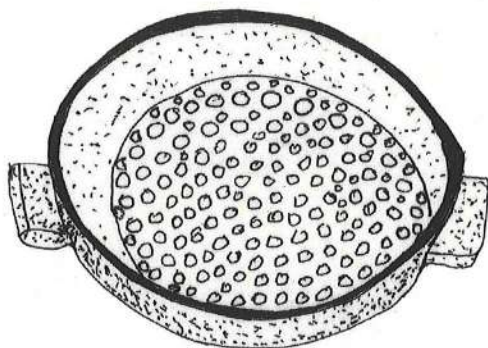
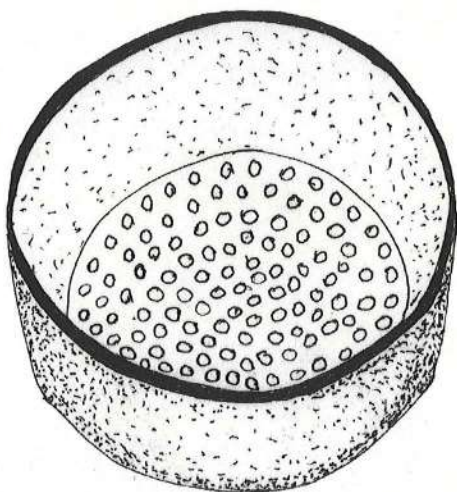


الجرة

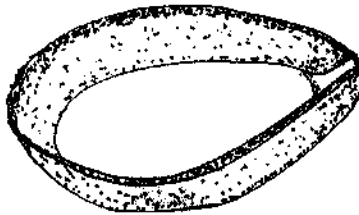
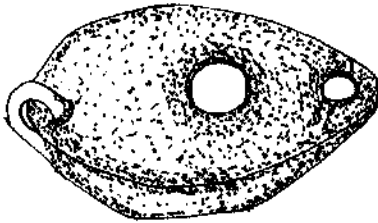
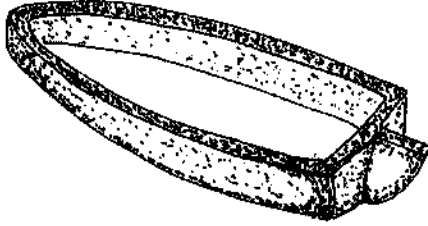


القصة

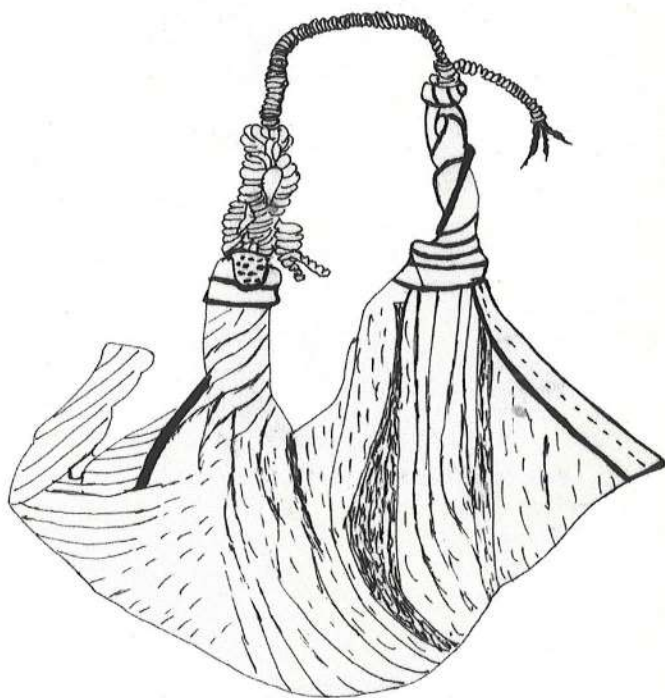




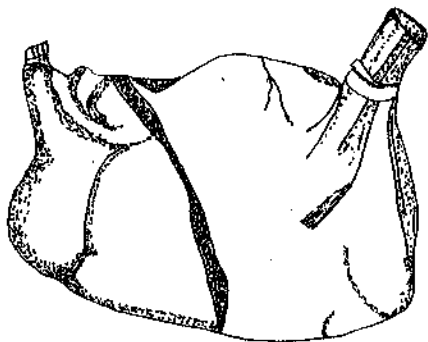
المنخل



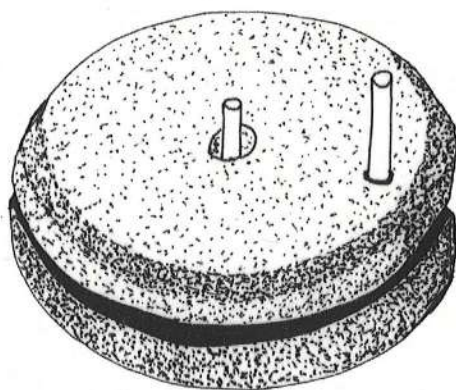
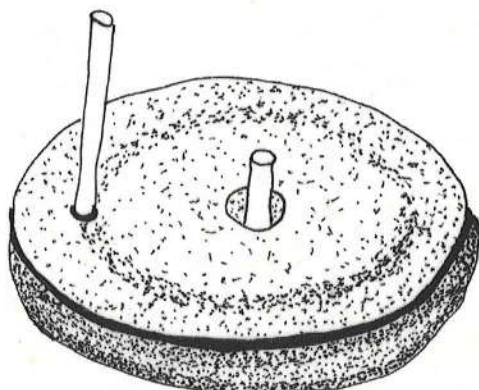
المصباح أو السراج



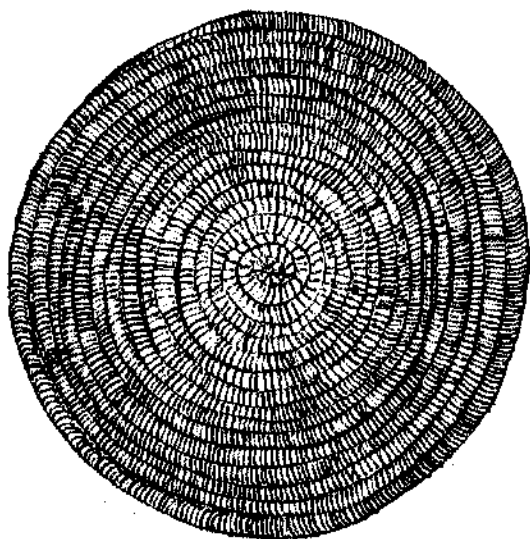
الشن



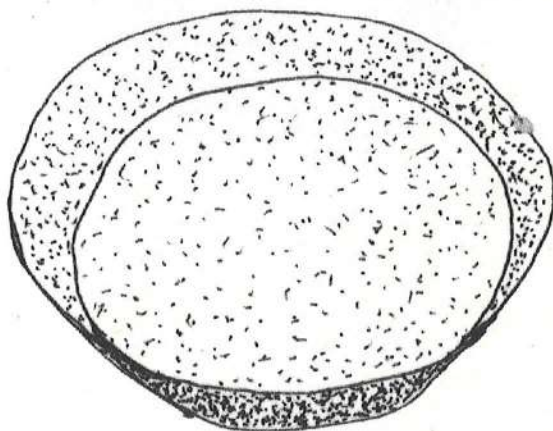
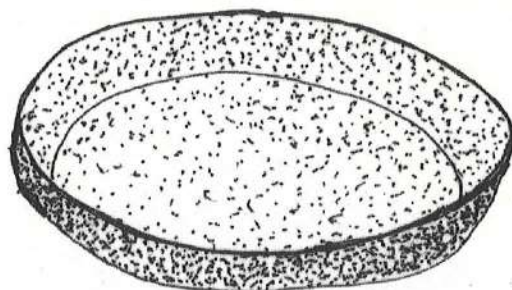
القرب بأحجامها وأشكالها المختلفة



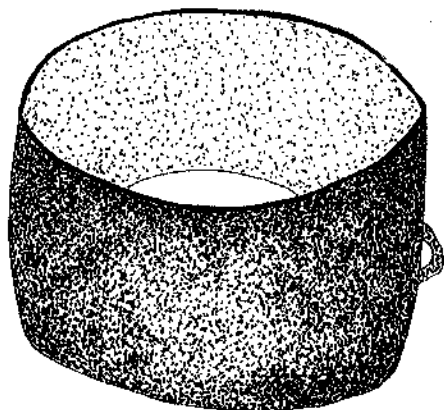
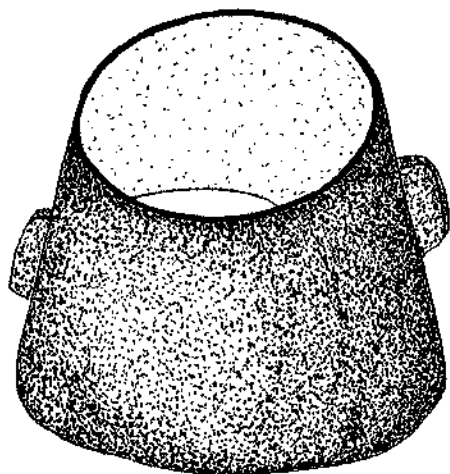
الرحى



القنم أو القناع



الطبق



المرجل



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيخا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1418هـ/1997م).
- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناحي (بيروت: دار الفكر، د: ت).
- الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: علي حسن هلالي ومراجعة محمد علي النجار (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د: ت).
- ابن إسماعيل، حماد بن إسحاق، تركة النبي ﷺ والسُّبُل التي وجهها فيها، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى (د. م: د. ن، 1404هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام، 1417هـ/1997م).
- الأدب المفرد، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (الجبيل: دار الدليل الأثرية، 1429هـ).

- البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، الطبعة الأولى (مكة: دار مكة للطباعة، 1402هـ / 1982م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار المعارف، د: ت) (الجزء الأول).
- البضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (مصر: دار الكتب العربية الكبرى، د: ت).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاکر وجماعة، الطبعة الثانية (القاهرة: مطبعة الحلبي، 1398هـ).
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: فائز محمد وإميل يعقوب، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتاب العربي، 1413هـ / 1993م).
- الثنيان، محمد بن عبد الرحمن، أسماء الأوعية الجلدية من خلال معجم لسان العرب لابن منظور. (دراسة دلالية تأصيلية) (الرياض: 1426هـ) سلسلة كتاب الدارة، (8).
- الجميل، محمد بن فارس، «الفرش والستور على عهد النبي ﷺ» مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة (الرياض: 1413هـ)، 210-153.
- الهجرة إلى الحبشة: دراسة مقارنة للروايات، الطبعة الثانية (الرياض: دار الفیصل الثقافية، 1425هـ / 2004م).
- «الآنية والأوعية المستخدمة في العهد النبوي - دراسة مستمدة من كتب الحديث الشريف»، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر (1415هـ / 1994م)، 193-95.

- الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ. حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة عشر، (1416-1417هـ/ 1996-1997م).
- أزواج النبي ﷺ: دراسة للعلاقة بين النبي ﷺ وأزواجه، عرض ونقد للروايات. الطبعة الأولى (بيروت: جداول، 2014م).
- الجواليقي، موهوب بن أحمد، المُعَرَّب، تحقيق: ف. عبد الرحيم، الطبعة الأولى (دمشق: دار القلم، 1410هـ).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الوفا بأحوال المصطفى، الطبعة الأولى (صيدا وبيروت: المكتبة العصرية، 1425هـ/ 2004م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، 1404هـ).
- حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الثالثة (جدة: شركة المدينة للطباعة، 1417هـ/ 1996م).
- ابن حبان، محمد بن حبان البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ/ 1987م).
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م).
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيخا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1425هـ/ 2004م).

- تهذيب التهذيب، تحقيق: خليل مأمون شيحا وجماعة، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1417هـ/ 1996م).
- الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون (د: م، د: ن، د: ت).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د. ت).
- ابن حوقل، محمد النصيبي، صورة الأرض (بيروت: مكتبة الحياة، 1979م).
- أبوحيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وجماعة، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1993م).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ببيروت، 1407هـ).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجنان، 1410هـ/ 1990م).
- داوودي، صفوان عدنان، الحجرات الشريفة سيرةً وتاريخاً، الطبعة الأولى (جدة: دار القبلة، 1413هـ/ 1993م).
- ابن زباله، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، جمع ودراسة صلاح عبد العزيز بن سلامة (المدينة: مركز بحوث دراسات المدينة المنورة، 1424هـ).

- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (مصر: مطبعة البابي الحلبي، 1385هـ / 1966م).
- الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب، المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى (دمشق: دار الفكر، 1400هـ / 1980م).
- الزويد، هدى بنت فهد، التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1428هـ).
- ابن سعد، محمد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، د: ت).
- الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، دراسة وتحقيق: زياد محمد منصور، الطبعة الثانية (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1408هـ / 1987م).
- السهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، الطبعة الأولى (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ / 2001م).
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1427هـ / 2006م).
- ابن سيد الناس، محمد بن محمد الأندلسي، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (بيروت: دار المعرفة، د: ت).
- ابن سيده، علي بن الحسن، المخصص، تحقيق لجنة التراث العربي (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د: ت).

- السيوطي، جلال الدين، الدرُّ المتثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1424هـ / 2003م).
- السُّهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة: مؤسسة مختار للطباعة والنشر، د: ت).
- ابن شبة، عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت (د: م، د: ن، د: ت).
- الشثري، عبد الرحمن بن سعد، حُجرة النبي ﷺ: تاريخها وأحكامها، الطبعة الأولى (الرياض: دار الفضيلة، 1436هـ).
- الصالحي، محمد بن يوسف، سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ / 1992م).
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة الأولى (عمان: دار الأعلام، 1423هـ / 2002م).
- تاريخ الرُّسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، د: ت).
- عبد الغني، محمد إلياس، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، الطبعة الثانية (المدينة: مركز طيبة للطباعة، 1418هـ / 1997م).
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد

البجاوي، الطبعة الثانية (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1387هـ/1968م).

- العمد، إحسان صدقي، الخبز في الحضارة العربية الإسلامية. حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية عشر (الكويت: 1412هـ/1413هـ).

- العُمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة الأولى (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1995م).

- الفريابي، جعفر بن محمد، دلائل النبوة، ومعه المستخرج على دلائل النبوة، تحقيق: عبد الله محمود الحداد وأم عبد الله بنت محروس العسلي (الرياض: دار طيبة للنشر، د: ت).

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/1986م).

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، كتاب الأشربة، تحقيق: محمد كرد علي (دمشق: مطبعة الترقى، 1366هـ/1947م).

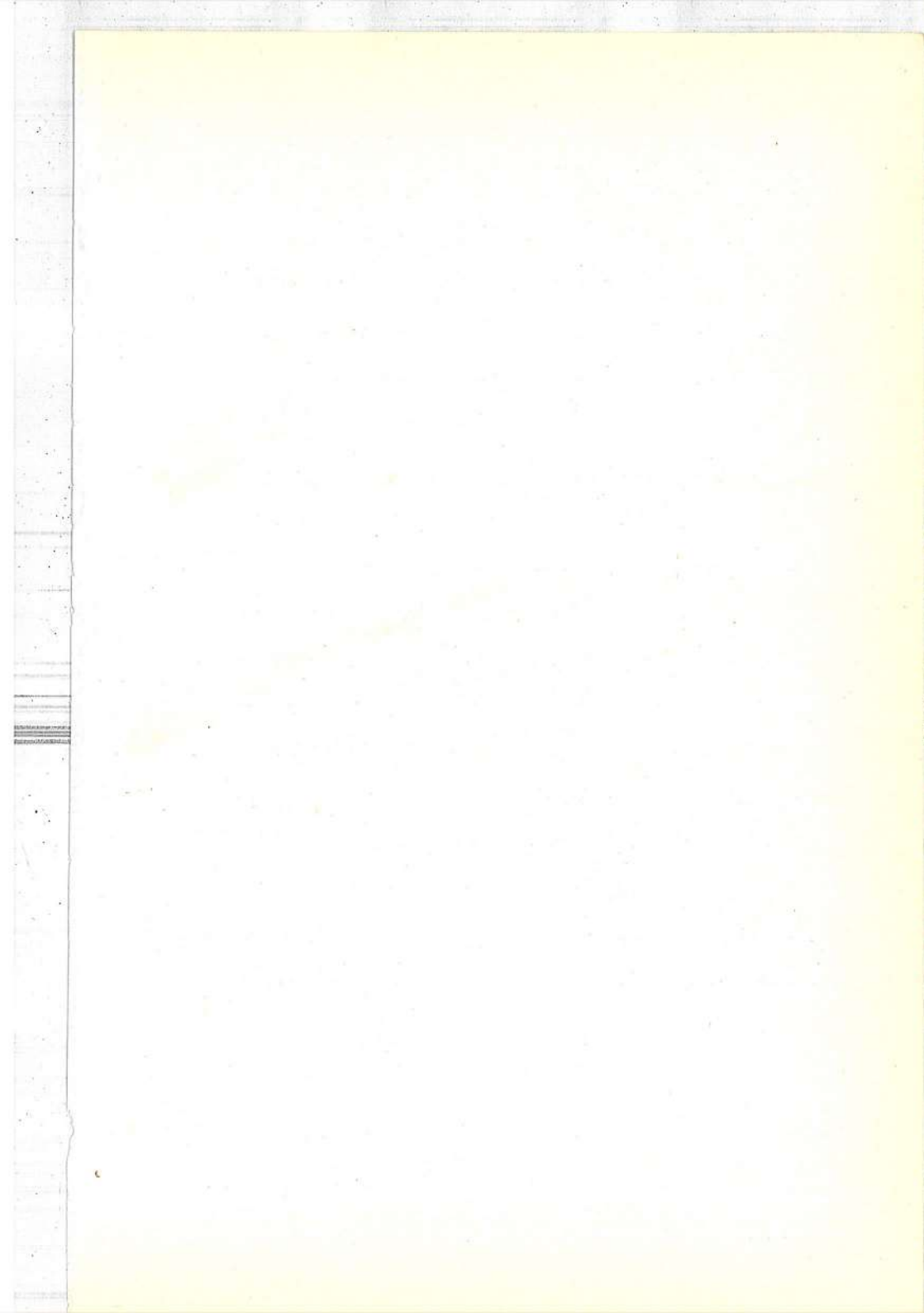
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق وجماعة (د. م: د. ن، د. ت).

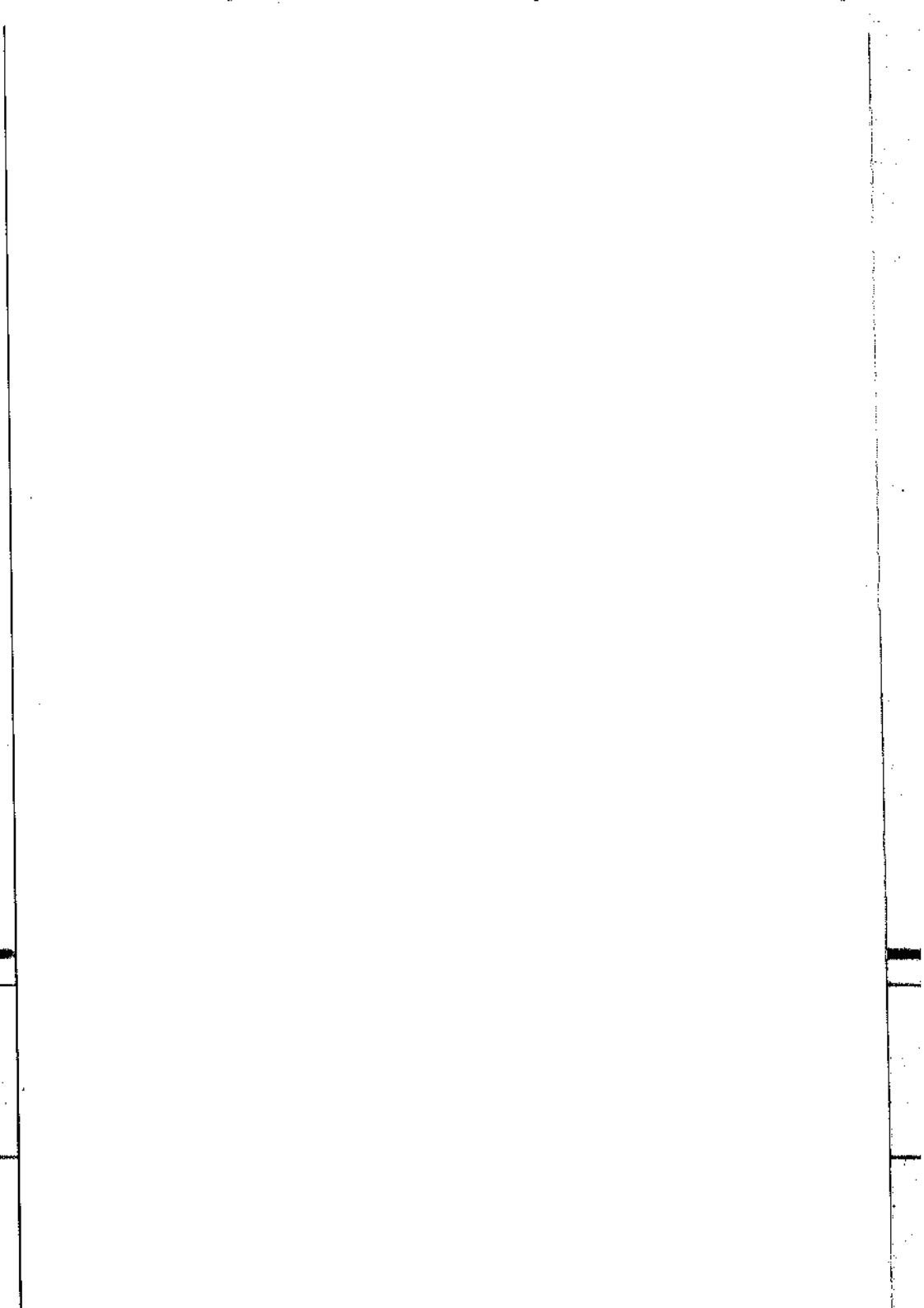
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، 1417هـ/1997م).

- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: المكتبة العلمية، د: ت).

- مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، د:ت).
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، 1403هـ).
- مصطفى، صالح لمعي، المدينة المنورة: تطورها وتراثها المعماري (بيروت: دار النهضة العربية، 1981م).
- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بمصر (طهران: المكتبة العلمية، د.ت).
- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد مخزوم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1987م).
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطار وعرفان العشاء، ط1 (بيروت: دار الفكر، 1419هـ/1999م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د:ت).
- ابن النجار، محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار، تاريخ المدينة المنورة المسمى الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: عبد الرازق المهدي، الطبعة الأولى (المدينة: دار الزمان، 1424هـ/2003م).
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ/1988م).

- النفيسي، محمد بن سليمان، «الحُجْرة النبوية عبر التاريخ»، مجلة الفرقان، الأعداد: 41-45 (الكويت: 1414هـ).
- «كتاب بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف»، ملاحظات واستدراكات، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد: 45 (أبوظبي: مركز جمعة الماجد، 1425هـ). ص 70-89.
- النيسابوري، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول (بيروت وصيدا: المكتبة العصرية، 1422هـ/ 2002م).
- الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة (بيروت: عالم الكتب، 1404هـ/ 1984م).
- ابن هشام، عبد الملك الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وجماعة، الطبعة الثانية (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ/ 1997م).
- الهلابي، عبد العزيز بن صالح، «مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب» سلسلة دراسات تاريخية (الرياض: مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1414هـ/ 1993م).
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، الطبعة الثانية (بيروت: دار صادر، 1413هـ).





تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إزالة اللبس عند بعض المهتمين بالسيرة النبوية بخصوص مفهوم كل من بيوت النبي - وحُجُرَاتُها. إذ إن البعض منهم يحسب أن البيت هو الحُجْرَة والحُجْرَة هي البيت.

وفي الواقع فإن القرآن الكريم والسيرة النبوية قد ميّزا بوضوح الفرق بين المسميين، فقد أشار القرآن الكريم إلى البيت في عدة مواضع مرة بصيغة الأفراد ومرة بصيغة الجمع.

أما الحُجْرَة فقد كانت الإشارة إليها في القرآن الكريم مرة واحدة وجاءت بصيغة الجمع، في قوله تعالى مستهجنًا سلوك بعض الأعراب، (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [الحُجُرَات: 4] وهكذا فلو كان المقصود بالحُجُرَات البيوت لجاء الخطاب نحو: إن الذين ينادونك من وراء البيوت. ولكن هذا الخطاب لم يحدث لأن الحُجُرَات كما يبدو غير البيوت، ولا يمكن الخلط بين المسميين.

ليس هذا فحسب بل إننا نجد أن كلمة (بيت) قد وردت في القرآن الكريم تسع عشرة مرة (19)، وجاءت بصيغة الجمع أي: (بيوت) أربع عشرة مرة (14).

لعل ما سبقت الإشارة إليه هنا يعطي انطباعًا قويًا بأن البيت شيء مختلف في معناه وأهميته عن الحُجْرَة، وهذا يدل على ضالة شأنها.

والكتاب بمجمله عبارة عن دراسة لبيوت النبي (ص) وأزواجه وصفة معيشتة فيها.